

المصفاة

مجلة

المجلد التاسع

الجزء العاشر والحادي عشر والثاني عشر



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET



www.alukah.net

هداء من شبكة الألوكة



بوقتي الحكمة من يتساءل من بوقتي الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يدرك إلا أول الألباب

المعجزة
١٣١٥

فبشر مجادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أول الألباب

أقال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي وده مناراه كمنار الطريق

(مصر - ١٦ جادى الأولى سنة ١٣٢٣ - ١٩ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥)



مصائب الإسلام • بموت الاستاذ الامام

مات الاستاذ الامام ولو كان كبر النفوس وطهارة الارواح وعبو
الهمم مما يحول دون الموت لما مات أبدا ولكن كل حي يموت إلا الحي القيوم
«إنا لله وانا إليه راجعون»

مات الاستاذ الامام فمات ذلك العلم الواسع، والحكمة البالغة، والحجة
الناطقية، والمعارف الكونية والالهية، والمعلوم الكسبية والادنية، مع البيان
الساحر، والأدب الباهر، والبلاغة التي تمتلك العقول والقلوب، والفصاحة
التي تستهوي الاسماع والنفوس،

مات الاستاذ الامام فمات تلك الاخلاق القدسية، والشجائل الحمديّة،
والصدق في القول والفعل، والاخلاص في السر والجمهور، والوفاء في القرب
والبعد، والسخاء في العسر واليسر، والمفنة في الشباب والكهولة، والحلم عند
الغيظ والمغاضبة، والمنفوع مع القدرة على المواخذة، والتواضع وخفض
الجناح للمخلصين، والشهامة والترفع على المنافقين والمستكبرين، واللين للحق
وأهله، والشدة على الباطل وجنده، والشجاعة التي تهابها الأشرار والعظماء،
والقناعة التي رفعت رأسه فوق الرؤساء

مات الاستاذ الامام فمات تلك الاعمال النافعة، والمشروعات الراقية، **بديدا**
والمساعي الجديدة، والوسائل المفيدة، والاجتهاد في ترقية الأمة، والدفاع
عن الملة، والدعوة إلى التوحيد والتأليف، والاشتغال بأفضل التعليم والتأديب،
والترية الصحيحة للمريدين، والجمع بين علوم الدنيا والدين، ومواساة البائسين
والمعوزين، وكفالة أولاد الفقراء والمساكين،

مات الاستاذ الامام فمات تلك الآمال البعيدة، والمقاصد الحميدة،

التي كانت مطوية في ذلك الجرم الصغير ، الذي انطوى فيه العالم الكبير ،
هك الآمال التي تتضائل دونها هم الملوك والأمرء . وتتصاغر أمامها
نفوس الزعماء والأغنياء ، الذين هم عن استئصال واهبهم مصر وفون ، وعن
الثقة برهم محجوبون ، وعن سنته في خلقه غافلون ،

مات الاستاذ الامام فراع موته الناس ، من جميع الطوائف والاجناس ،
فعلم علماء الدين ، أنهم فقدوا ركهم الركين ، الذي يحمل عنهم رد الشبهات ،
وغير ذلك من فروض الكفايات ، وعلماء الدنيا ، أنهم خسروا ركهم
الانطوى ، الذي يدفع عنهم مطاعن المتعصبين ، وتكفير الجامدين ، ويثبت
ان الاسلام جمع بين المصلحتين ، ولا يتم ذلك الا بالجمع بين العلمين ،
وشعر طلاب الإصلاح بأنهم فقدوا إمامهم العظيم ، الذي كات فيه
صفات الزعيم ، وأحسن الفقراء والمساكين ، بأنهم رزوا بكافل اليتامى
وغوث الماجزين ، ولم يجهل القائلون بالشؤون العامة ، شدة وقع هذه
الطامة ، وانهم نكبوا بصاحب الرأي الناقد ، والمصل النافع ، صربي
الرأي العام في الشورى والجمعية العمومية ، صاحب اليد البيضاء في الاوقاف
الاسلامية ، المضطلع باصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية ، الناهض بأعباء
الجمعية الخيرية ، الموفق بين الحكومة والرعية ، واعترف أهل الملل بأن
مصابه مصاب الانسانية ، والخسارة الكبرى على العلم والمدنية ،

مرض هذا البر الرحيم فكان على فراش الموت يسأل عن بعض
الضعفاء ، ويبحث عن مساكن القواعد من النساء ، ليواسيهم بالبر ، من
وراء الستر ، وقال لي ان فلانا النريب قد انقطع عن السفر بدين عليه ،
واني مستغن الآن عن مئة جنيه فان كانت كافية ارسلها اليه ، ولكنه غاب

عن الوجود ، قبل ان يقضي لباته من البر والجود ،
مرض هذا المصلح العظيم فاضطربت الامة المصرية لمرضه فكانت
الدار التي يمرض فيها كعبة المائدين من العلماء والاصراء والوزراء والادباء
والفضلاء والفقراء والأغنياء وكان البرق يناجها كل يوم مع البريد ،
بالياباة عن العاجز والبيد ، سائلين عن صحته ، أو مهوتين بما يقال عن
راحته ، فكان يحمد الله ان جعل الدهماء من أمته يعرفون لخادمها
خدمته ، ويشكرون للعامل لها عمله ، ويقول لئن شفيت لاجهدن النفس
في خدمتهم اجمعين ، حتى أكون حرضا أو أكون من الهالكين ،
مرض الاستاذ الامام ، فلم يمعه المرض عن خدمة المسلمين والاسلام ،
واحتضر الاستاذ الامام ، وهو يفكر في مصلحة المسلمين والاسلام ،
ومات الاستاذ الامام ، وهو يلتمس غيرة على المسلمين والاسلام ،
نقول مات الاستاذ الامام فبسدى القول ونعيده نصر الحس ،
ونكار النفس ، فقد كادت تحسب ان موته رؤيا منام ، وأضغاث أحلام ،
وما هو الا الحق اليقين ، ومصير الاولين والآخريين ، « وما جعلنا لبشر من
قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون » كل نفس ذائقة الموت وتبلوكم بالبشر
والخير فتنه والينا ترجعون » مات استاذنا وإمامنا ولك اللهم البقاء فلا
تفتنا بعده ، ولا تحرمنا أجره ، واغفر اللهم لنا وله ،
نم إنه قد مات ولكن لم تمت علومه ومعارفه ، وما أثره وعوارفه ،
فلقد ربى أرواحا ، واصلاح إصلاحا ، وألف كتبا ، وترك علماء وأدباء ،
وأما سناسبه له أجر إمامتها ، وأحيا سننا حسنة له أجرها وأجر من يعمل
بها ، وعلمنا كيف تفهم القرآن ، وتقيم شرائع الاسلام ، مع توخي تقع

مات أستاذنا وإمامنا فكبر علينا موته ولكنه ربانا على الصبر ووطننا
كيف تعزى عنه حتى في مرض موته ، فقد كان هجيراً في تلك الكربات
والسكرات ، كلمة الله التي أمرنا بتكرارها في الصلوات . (الله أكبر) فلئن
كان بفضل الله كبيراً فينا فالله أكبر ، ولئن كان مرضه وموته كبيراً علينا
فالله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ومن يتصم بالله فقد
هدى إلى صراط مستقيم

لبي دعوة ربه برمل الاسكندرية في الساعة الخامسة بعد الزوال من
يوم الثلاثاء ثامن جمادى الاولى فنماه البرق بآلاته الناطقة والكاتبة الى
العاصمة وغيرها من مدن القطر فاضطربت لئمه القلوب وذرفت الميون
واسترجعت الألسنة وحوقت وطفق الناس يمزي بعضهم بعضاً متفتين
على ان المصائب به عام ، وأشد وقعها على المسلمين والاسلام ، وما كنت
تسمع من القريب والغريب ، والبنيض والحبيب ، والوطني والاجنبي ،
والرشيد والنوي ، والعالم والجاهل ، والمفضل والفاضل ، إلا كلمة « خسارة
لا تموض ، أو كلمة « عوض الله الأمة به خيراً » أو قول الشاعر

وما كان فيسارزده رزء واحد ولكنه بنيان قوم تهدما
أو قول الآخر

ولكن الرزية فقد حر يموت لموته خلق كثير

وقد اجتمع مجلس النظار فقروا ان تحتفل الحكومة رسمياً بتشجيع
جنازته في الاسكندرية ومصر وان تنقل جثته على قطار خاص الى العاصمة
فعلت وشاركتها الأمة ونزلاؤها والمحتلون بهذا التشجيع الذي لم يسبق

مثله لغيره حتى كان يجيل للمشيع انه لم يبق أحد من سكان الاسكندرية ولا من سكان القاهرة الا وقد حضر ليودع هذا الامام الوداع الاخير وقد صلي عليه في الجامع الأزهر ودفن في قرافة المجاورين بعمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جناته

ولما كان المنار هو الداعي الى الانتفاع بهذا الامام المصلح في حياته ، فجدير به ان يرشد الى الاستفادة بسيرته بمدحاته ، فلا نطيل في الرثاء والتأبين وان كان بالحق ، ولكننا نقص على القراء ملخص سيرته مع التزام الصدق ، ليظهر لهم كيف تعلم وتربي حتى صار إماما حكيما ، وماذا عمل حتى صار مصالعا عظيما ، وسنضع له تاريخا معلولا تفصل فيه ما أجلنا ، ونشرح فيه ما اخلصنا ، ونودعه كثيرا من رسائله ومكاتبته ، وخطبه ومقالاته ، وما كتب به اليه بعض العلماء والمعلماء ، وماقاله فيه نوابغ الكتاب والشعراء ، وما ابتته به الجرائد ، وما رثي به من غرر القصائد ، ونسأل الله تعالى ان يحسن عزاءنا وعزاء الامة فيه ، ويوفقنا في مصابنا لما يحبه سبحانه ويرضيه ،

ملخص سيرة الاستاذ الامام

(اصله ونسبه ومولده)

هو محمد بن عبده بن حسن خير الله من مديرية البحيرة في القطر المصري . وبيت خير الله تركاني الأصل كما اخبرنا الفقيه رحمه الله تعالى ولاأذ كرعته شيئا من تاريخ قدوم عشيرتهم إلى القطر المصري الا أنهم كانوا يقيمون في الخيام وان علي باشا مبارك أخبره ان عبد اللطيف البغدادي المؤرخ الشهير ذكر في الرحلة الكبرى انه جاء (محنة نصر) ونزل ضيفا في بيت التركاني . وأمه من عشيرة كبيرة في مديرية الغربية تعرف بمائلة عمان وتنسب

إلى بني عدي قبيلة سيدنا عمر بن الخطاب ويقال إنها من ذريته. وكان والده
شهما شجاعاً وقوراً سخي النفس وكانت والدته برة رحيمة بالمساكين ذكية
النواد شديدة الحياء ولا أبسد إذا قلت إن والديه كانا من أسلم الناس فطرة
وأحسنهم خلقاً. وكانت هذه الاخلاق فيهما موروثاً ومكتسبة بالمعاشرة
والقدوة لا بتعليم المدارس ولا بتأديب المعلمين. وهذا أصل عظيم في استعداد
الرجل لما وصل اليه من الكمال الذي لم يرو ولم نسمع بمثله وقد قال صلى الله عليه
وسلم «الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا»
رواه البخاري ومسلم

ولد قدس الله تعالى روحه في أواخر سنة خمس وستين أو ست وستين
ومئتين وألف من الهجرة الشريفة (روايتان من كتابته) في قرية من قرى
مديرية الغربية كان والده هاجر إليها هو وأخوه بهنس فرارا من ظلم حكام
مديرية البحيرة في أواخر حكم محمد علي باشا الكبير وكان له قرابة في تلك
القرية وفي أثناء إقامته فيها كان يتردد إلى بعض القرى القريبة فيها ويتعارف
هو وأهله فأدى ذلك التعارف إلى المصاهرة إذ تزوج بوالدة النقيب وهي
من قرية تسمى (حصه شبشير) قرية من مدينة طنطا وأقام معها في قرية
تسمى (شتر) إلى أواخر مدة عباس باشا الأول والي مصر ثم أُلجأته
الحوادث بمذالك إلى الرجوع إلى بلده وهي قرية تسمى (محلة نصر) في
البحيرة وفيها نشأ وترعرع

حج تعليمه وتربيته

نشأ كما ينشأ أمثاله من أبناء البيوت المعروفة في القرى ولم يدخل
المكتب لتعلم القراءة والكتابة إلا بعد أن جاوز العاشرة من سنه وقد

كتب هو عن مبدأ تعلمه وتأدبه مانعه : « تلمت القراءة والكتابة في منزل والدي ثم انتقلت الى دار حافظ قرآن قرأت عليه وحدي جميع القرآن أول مرة ثم أعدت القراءة حتى أتمت حفظه جميعه في مدة سنتين ادركني في ثابتهما صبيان من أهل القرية جاءوا من مكتب آخر ليقرأوا القرآن عند هذا الحافظ ظنا منهم ان نجاحي في حفظ القرآن كان من أثر اهتمام الحافظ . بعد ذلك جاني والدي الى طنطا حيث كان أخي لأبي الشيخ مجاهد رحمه الله لأجود القرآن في المسجد الاحمدي لشهرة قرائه بفنون التجويد وكان ذلك في سنة ١٢٧٩ هجرية

ثم في سنة احدى وثمانين جلست في دروس العلم وبدأت بتلقي شرح الكفراوي على الأجرومية في المسجد الاحمدي بطنطا وتضيت سنة ونصفا لأنهم شيئا رداءة طريقة التعليم فان المدرسين كانوا يفتخروننا باصطلاحات نحوية أو فقهية لا تفهمها ولا عناية لهم بتفهم معانيها لمن لم يعرفها فأدركني اليأس من النجاح وهربت من الدرس واختفيت عند اخوالي مدة ثلاثة أشهر ثم عليّ أخي فأخذني الى المسجد الاحمدي وأراد اكرامي على طلب العلم فأبيت وقلت له : قد أيقنت ان لا نجاح لي في طلب العلم ولم يبق عليّ الا أن اعود الى بلدي واشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل الكثير من أقاربي : وانتهى الجدال بتقلي عليه فأخذت ما كان لي من ثياب ومناج ورجعت الى محلة نصر على نية ان لا أعود الى طلب العلم وتزوجت في سنة ١٢٨٢ على هذه النية

« فهذا أول أثر وجدت في نفسي من طريقة التعليم في طنطا وهي

يعينها طريقته في الازهر وهو الار الذي يجده خمسة وتسعون في المئة ممن

لا يباعدهم القدر بصحبة من لا يتعلمون هذه السبيل في التعليم - سبيل
إلقاء العلم ما يعرفه أو ما لا يعرفه بدون ان يراعي المتعلم ودرجة استمداده
لأنهم غير ان الاغلب من الطلبة الذين لا يفهمون أنفسهم أنفسهم فيظنون
أنهم فهموا شيئاً فيسترون على الطلب الى أن يلفوا سن الرجال، وهم في
أحلام الاطفال، ثم يتلى بهم الناس وتصاب بهم المامة فتعظم بهم الرزية
لأنهم يزيدون الجاهل جهالة ويضلون من توجد عنده داعية الاسترشاد
ويؤذون بدعاويهم من يكون على شيء من العلم ومحولون بينه وبين
مع الناس بعله

بعد ان تزوجت باربعين يوماً جاءني والدي ضحوة نهار وأرمني
بالذهاب الى طنطا لطلب العلم وبعد احتجاج وتمنع وإباء لم أجد مندوحة
عن إطاعة الأمر ووجدت فرساً أحضر فركته وأصحبني والذي بأحد
أقاربي وكان توي البنية شديد البأس ليشيني الى محطة (إيتاي البارود)
التي أركب منها قطار السكة الحديدية الى طنطا . كان اليوم شديد الحر
والرياح عاصفة مآهة ساقياء ، نحصب الوجه بشبه الرمضاء ، فلم أستطع
الاستمرار في السير فقلت لصاحبي أما مداومة المسير فلا طاقة لي بها مع
هذه الحرارة ولا بد من التعرّيج على قرية أنتظر فيها ان يخف الحر، فأبى عليّ
ذلك فتركته واجريت الفرس هارباً من مشادته وقتت اني ذاهب الى
(كيننة ادوين) - بلدة غالب سكانها من خوولة ابي - وقد فرح بي
شبان القرية (*) لانني كنت معروفاً بالفروسية واللعب بالسلاح وأملوا

(*) في العبارة ايجاز بديع بالحذف اذ لم يذكر انه وصل الى القرية ولقي شبانها بل

طوى ذلك دلالة ما بعده عليه . وقد اتقدي رحمه الله في هذا بأسلوب الكتاب العزيز

أن أقيم معهم مدة يلهو فيها كل منا بصاحبه . أدركني صاحبي وبقي معي الى مصر وأرادني على السفر فقلت له خذ الفرس وارجع وسأذهب صباح الغد وان شئت قلت لوالذي انني سافرت الى طنطا فانصرف وأخبر بما أخبر وبقيت في هذه القرية خمسة عشر يوما تحوت فيها حالتي، وبدلت فيها رغبة غير رجعتي ،

« ذلك ان أحد اخوال أبي واسه الشيخ درويش سبقت له أسفار الى صحراء ليبيا ووصل في أسفاره الى طرابلس الغرب وجلس الى السيد محمد المدني والد الشيخ ظافر المشهور الذي كان قدسكن الامتانة وتوفي بها وتعلم عنده شيئا من العلم واخذ عنه الطريقة الشاذلية وكان يحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث ومجيد حفظ القرآن وفهمه ثم رجع من أسفاره الى قرنته هذه واشتغل بما يشتغل به الناس من فلاح الأرض وكسب الرزق بالزراعة » وإن هذا الشيخ جاءني صبيحة الليلة التي بتها في الكنيسة ويده

كتاب يحتوي على رسائل كتبها السيد محمد المدني الى بعض مريديه بالأطراف بخط منقري دقيق وسألني ان أقرأه فيها شيئا لضعف بصره فدفت طلبة بشدة ولعنت القراءة ومن يشتغل بها وتفرت منه أشد النفور ولما وضع الكتاب بين يدي رميته إلى بعيد لكن الشيخ تبسم وتجلى في أطف مظاهر الحلم ولم يزل بي حتى أخذت الكتاب وقرأت منه بضعة أسطر فاندفع يفسر لي معاني ماقرأت بعبارة واضحة تقابل إعراضي فتغلبه وتسبق إلى نفسي . وبعد قليل جاء الشبان يدعونني الى ركوب الخيل والامب بالسلاح والسباحة في نهر قريب من القرية فرميت الكتاب وانصرفت اليهم . بعد مصر جاءني الشيخ بكتابه وألح عليّ في قراءة شيء منه

أقترأت وفسرتم تركته إلى اللب وفعل في اليوم الثاني كما فعل في الأول
 أما اليوم الثالث فقد بقيت أقرأه فيه وهو يشرح لي معاني ما أقرأ نحو
 ثلاث ساعات لم أزل فيها فقال لي إني في حاجة إلى الذهاب إلى المزرعة
 ليعمل بعض العمل فيها فطلبت منه إبقاء الكتاب معي فتركه ومضت
 أقرأه وكلما مررت بمبارة لم أفهمها وضمت عليها علامة لأسأله عنها إلى
 أن جاء وقت الظهر وعصيت في ذلك اليوم كل وغبة في اللب وهوى
 ينازعي إلى البطالة، وعصر ذلك اليوم سألته عما لم أفهمه فأبان معناه على
 عادته وظهر عليه الفرح بما تجدد عندي من الرغبة في المطالعة والميل
 إلى التعلم

« كانت هذه الرسائل تحتوي على شيء من معارف الصوفية وكثير
 من كلامهم في آداب النفس وترويضها على مكارم الأخلاق وتطهيرها من
 دنس الرذائل وتزهيدها في الباطل من مظاهر هذه الحياة الدنيا
 « لم يأت عليّ اليوم الخامس إلا وقد صار ابنض شيء إليّ ما كنت
 أحبه من لب ولهو، وفخنة وزهو، وعاد أحب شيء إليّ ما كنت أبغضه
 من مطالعة وفهم وكرهت صور أولئك الشبان الذين كانوا يدعونني إلى
 ما كنت أحب ويهدونني في عشرة الشيخ رحمه الله فكنت لا احتل
 أن أرى واحدا منهم بل أفر من لقاءهم جميعا كما يفر السليم من الأجراب
 في اليوم السابع سألت الشيخ ما هي طريقتكم فقال طريقتنا الإسلام
 فقلت أو ليس كل هؤلاء الناس مسلمين؟ قال لو كانوا مسلمين لما رأيتهم
 يتنازعون على التافه من الأسر ولما سمعتهم يحلفون بالله كافرين بسبب
 وبغير سبب. هذه الكلمات كانت كأنها نار أحرقت جميع ما كان عندي

من المتاع القديم - متاع تلك الدعاوى الباطلة والمزاعم الفاسدة، متاع الضرور
بأننا مسلمون ناجون، وان كنا في غمرة ساهين، سأله ما وردكم الذي
يتلى في الحلوات أو عقب الصلوات، فقال لاورد لنا سوى القرآن تقرأ
بعد كل صلاة أربعة ارباع مع التهم والتدبر: قلت أني لي أنت أفهم
القرآن ولم أتعلم شيئاً قال أفراً معك ويكفيك ان تفهم الجملة ويبركها
يفيض الله عليك التفصيل وإذا خلوت فاذا ذكر الله: على طريقة بينها. وأخذت
أعمل على ما قال من اليوم الثامن فلم تمض عليّ بضعة أيام إلا وقد رأيتني
أطير بنفسي في عالم آخر غير الذي كنت أعهد، (١) واتسع لي ما كان
ضيقاً، وصغر عندي من الدنيا ما كان كبيراً، وعظم عندي من أمر العرفان
والزروع بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيراً، وتفرقت عني جميع الهموم
ولم يبق لي الا هم واحد وهو أن أكون كامل المعرفة كامل أدب النفس ولم
أجد إماماً يرشدني الى ما وجهت اليه نفسي الا ذلك الشيخ الذي أخرجني
في بضعة أيام من سجن الجهول الى فضاء المعرفة، ومن قيود التقليد، الى
إطلاق التوحيد، - هذا هو الأثر الذي وجدته في نفسي من محبة أحد
أقاربي وهو الشيخ درويش خضر من أهالي (كنيسة ادرين) من مديرية
البحيرة. وهو مفتاح سعادتي ان كانت لي سعادة في هذه الحياة الدنيا،
وهو الذي رد لي ما كان غاب من غريزتي، وكشف لي ما كان خفي عني مما
أودع في فطرتي،

«وفي اليوم الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٥ (محلة نصر) فأخبرني

(١) سندكرها ثم في تاريخه الطول منى مقاله في تأثير التصوف في نفسه ومالم

يقله وينين ما كان له من المنفعة والضرر الذي تلافاه السيد جمال الدين في رية تقيدنا الثانية

ان والدتي ذهبت الى طنطا اتراني فعلبت ان سيقول لوالدي انني لا ازال في الكنيسة فأصبحت مبكرا الى طنطا خوف عتاب الوالد واشتداده في اللوم لانني لو كنت أقت له ألف دليل على انني وجدت في مهربي مطلبه ومطاي لما اقتنع

«ذهبت الى طنطا وكان ذلك قرب آخر السنة الدراسية في شهر جمادى الآخرة من سنة ١٢٨٢ هجرية لكن اتفق ان بعض المشايخ كانت مائة بنته فمافه الحزن عليها عن اتمام شرح الزرقاني على العزية وأخر عرض له فارض منه عن إتمام شرح الشيخ خالد على الأجرومية فأدركت كلامها في أوائل الكتاب الذي كان يدوميه وجلست في الدرسين فوجدت نفسي افهم ماقرأ وماأسمع والحمد لله. وعرف ذلك مني بعض الطلبة فكانوا يلتفون حولي لأطالع معهم قبل الدرس مااستلقاه. وفي يوم من شهر رجب من تلك السنة كنت أطلع بين الطلبة وأقرر لهم معاني شرح الزرقاني فرأيت أمامي شخصا يشبه ان يكون من أولئك الذين يسمونهم بالمجازيب فلما رفعت رأسي اليه قال مامعناه: ماأخلى حلوى مصر البيضاء: فقلت له وأين الحلوى التي ممك؟ فقال سبحان الله من جد وجد: ثم انصرف فعددت ذلك القول منه إلهاما سافه الله الي ليحمني على طلب العلم في مصر دون طنطا

وفي منتصف شوال من تلك السنة ذهبت الى الازهر وداومت على طلب العلم على شيوخه مع محافظتي على العزلة والبعد عن الناس حتى كنت استنفر الله اذا كلمت شخصا كلمة لغير ضرورة. وفي أواخر كل سنة دراسية كنت أذهب الى (محلة نصر) لأقيم بها شهرين من منتصف شعبان الى منتصف شوال. وكنت عند وصولي الى البلد أجد خال والدي



الشيخ درويشا قد سبقني اليه فكان يستمر معي يدارسني القرآن والمعلم الى يوم سنري ، وكل سنة كان يسألني ماذا قرأت فأذكر له ما درست فيقول : ما درست المنطق ما درست الحساب ما درست شيئاً من مبادئ الهندسة : وهكذا وكنت أقول له بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في الازهر فيقول : طالب العلم لا يعجز عن تحصيله في أي مكان : فكنت اذا رجعت الى القاهرة أتمس هذه العلوم عند من يعرفها فتارة كنت أخطئ في الطلب واخرى أصيب الى ان جاء المرحوم السيد جمال الدين الافغاني الى مصر أواخر سنة ١٢٨٦

«وقد صاحبت من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكومية (الفلسفية) والكلامية وأدعو الناس الى التلقي عنه كذلك وأخذ مشايخ الازهر والجمهور من طلبته يقولون عليه وعلينا الاقاويل ويزعمون أن تأتي تلك العلوم قديفضي الى زعزعة العقائد الصحيحة وقديهوي بالنفس في ضلالات تحرمها خبري الدنيا والآخرة فكنت اذا رجعت الى بلدي عرضت ذلك على الشيخ درويش فكان يقول لي : ان الله هو المعلم الحكيم ولا علم يفوق علمه وحكمته وإن أعدى أعداء المعلم هو الجاهل وأعدى أعداء الحكيم هو السفيف وما تقرب أحد الى الله بأفضل من العلم والحكمة فلا شيء من العلم بمقتوت عند الله ولا شيء من الجهل بمحمود لديه الا ما يسميه بعض الناس علماً وليس في الحقيقة يعلم كالمسحر والشعوذة ونحوهما اذا قصد من تحصيلهما الاضرار بالناس : »

هذا ما كتبه للفقيد عن مبدأ تربيته وتعلمه في ترجمته التي كتبها لي قبل

اشتماد مرضه الأخير وكان حدثني قبل بشيء من ذلك ومنه أنه لم يكن

يواظب على حضور دروس من لا يفهم أو لا يستفيد منهم وانه ربما كان يحضر درس أحدهم وفي يده كتاب آخر يطالع فيه مدة الدرس وان من شيوخه الذين فهم منهم واستفاد في أول تحصيله الشيخ محمد البسيوني وانه بعد الحضور في الازهر ثلاث سنين مل الدروس المتتادة كأنه أخذ حظه منها وصارت نفسه تطلب شيئاً جديداً وتميل الى العلوم العقلية ولكنه حضر جميع الكتب وفهمها ولم يكن يرنح الى إعادة شيء منها، وكان الشيخ حسن الطويل ممتازاً في الازهر بهلم المنطق فحضر عليه ولم يكن يشفي ما في نفسه بل كانت تشوف دائماً الى علم غير موجود فكان يبحث في خزائن الكتب الازهرية عن طلبته المجهولة فيظفر ببعض الشيء ومما ظنر به القطب على الشمسية ناصباً، وقرأ الشيخ حسن الطويل لهم شيئاً من الفلسفة ولكن لم يكن يجزم بأن المعنى كذا بل كان الدرس احتمالات أو اشبه بالخرز فيما بينهم حتى جاء السيد جمال الدين فسكنت اليه نفسه من اضطرابها ووجدت عنده جميع طلبتها، وأقصى أمنيته، واخبرني رحمه الله تعالى ان الذي أخبره بقدم السيد جمال الدين هو أحد المجاورين في رواق الشوام قال له انه جاء مصر عالم افغاني عظيم وهو يقيم في خان الخليلي فمر بذلك واخبر الشيخ حسنا ودعاه الى زيارته معه فألفياه يمشي فدعاهما الى الأكل معه فاعتذرا فظنق يسألهما عن بعض آيات القرآن وماقاله المفسرون والصوفية فيها ثم بفسر هاهم فكان هذا مما ملأ قلب فقيدنا به عجباً وشغفه جبالاً التصوف والتفسيرهما قررة عينه أو كما قال مفتاح سعادته، وأخبرني رحمه الله تعالى انه قرأ على السيد كتاب الزوراء للدواني في التصوف، وشرح القطب على الشمسية والطالع وسلم العلوم من كتب المنطق، والهداية والاشارات وحكمة العين

وحكمة الاشراف من الفلسفة ، وعقائد الجلال الدواني والتوضيح مع التلويح في الاصول ، والجفميني في الهيئة القديمة وكتابا آخر في الهيئة الجديدة نسبت اسمه .

ثم ان السيد أرشده كثيره من تلامذته الى الانشاء وكتابة المقالات الادبية والاجتماعية والسياسية وصرحهم على الخطابة فبرع فقيدها في ذلك حتى صار أبرع من أستاذه نفسه لان عبارة السيد رحمه الله تعالى كانت على مثالها وبلاغتها تصف من كدورة العجمة الى صفاء الانسجام العربي الخالص كعبارة الشيخ ثم ان مجالس السيد في ناديه وسامره كانت كلها مجالس علم وحكمة وأدب وسياسة وقلماء كان يفوت فقيدها شيء منها اذ كان يلزمه ملازمة ظله وما يستفيد المرء بالذاكرة في ساعة لا يستفيد بالدرس في ساعات لان المدرس يكافئك كل ما يلقيه اليك سواء كنت تشعر بالحاجة اليه وتمتدده الاستفادة منه أم لا وسواء كنت مستعدا لفهمه أم لا ، وأما المذاكرة فهي مشاركة اختيارية في البحث والانسان لا يختار الا ما يرى نفسه محتاجة اليه ومستعدة لفهمه فمثل المدرس يلقي اليك كمثل من يكافئك أن تأكل مقداراً معيناً من الاطعمة التي قد تعاف بعضها ولا تستطيع تناولها الا بكافئة وغثاة فانت لا تغذي الا ببعضها والباقي إما أن يضر وإما أن لا ينفع ومثل المذاكرة كالطعام الذي تشربه وتتناول منه ما يكفيك فيكون كاه غذاء نافعا . وقد قل بعض علماء التربية من الافرنج انه فلما يطلع من يقيم في مدارس العلم زمانا طويلا . ولقد كانت مجالس استاذنا المقيد كجالس استاذ (رحمهما الله) تفيض علما وحكمة وأدبا ولكن الفصل بينهما في هذا هو ان السيد كان يلقي الحكمة لكل أحد وأما الشيخ فكان

مخاطب كل أحد أو كل فريق بما يرى انه مستعد له ومتوجه اليه وقد قال لي رحمه الله تعالى ان السيد جمال الدين كان ياتي الحكمة ليريدها وغير مردها ومن خواصه انه يجذب مخاطبه الي ما يريد وان لم يكن من أهله وكنت أحسده على ذلك لاني تؤثر في حالة المجلس والوقت فلا توجه نفسي للكلام الا اذا رأيت له محلا وهكذا الكتابة الخ ما قاله وسند كره في عمله من تاريخه ان شاء الله تعالى

تدريسه ودعوته الى اصلاح التعليم في الازهر

كان مفا الله عنه قبل أخذ شهادة التدريس يطالع مع بعض الطلاب الدروس التي يحضرونها في الازهر ثم اتفقت الرغبة على أن يقرأ لطائفة منهم بعض الكتب فقرأ لهم إيساغوجي في المنطق ثم شرح العقائد النسفية للسعد التفتازاني مع حواشيه ثم مقولات السجاعي بحاشية العطار وغير ذلك من الكتب التي لم تكن تقرأ في الازهر فكثير سواد المجتمعين عليه وكان يدعوهم الى مطالمة ما لم يعودوا من الفنون والكتب ويفتح لهم أبواب المذاكرة والمناقشة ليلا فكانوا يفتالون الليل ولا يشمرون بطوله وقتن الاذ كياه بحسن بيانه ودقه فهمه وحسده أناس منهم فأحفظوا عليه قلب الشيخ عيش فكان ما كان من حادثته معه اذ ذهب ابن للشيخ عيش مع طالب آخر فقالوا ان فلانا يقرأ شرح العقائد النسفية وقد رجح في درسه أمس مذهب المعتزلة على مذهب الاشعرية وكان الشيخ عيش رحمه الله أذنا يصدق بكل ماسمع وكان شديد الفيرة في الدين حديده المزاج سريع الغضب فكبر عليه أن يقرأ أحد الطلاب مثل ذلك الكتاب الذي لم يكن الشيوخ الكبار يتسامون لقراءته فأرسل الي الفقيه فجاءه وهو

يقرأ الدرس في المسجد الحسيني فقال الشيخ عيش بلقني انك تقرباً نرحم
المقائد النفسية دوسا قال نعم : قال الشيخ عيش وبلقني انك رجحت
مذهب المعتزلة على مذهب الاشعرية قال اذا كنت أترك تقليد الاشعري
فلاذا أتقلم المعتزلي إذا أترك تقليد الجميع وأخذت بالدليل قال الشيخ عيش
اخبرني الثقة بذلك قال هلم الثقة الذي يشهد بذلك فليميز أماننا هنا بين
المذهبين وليخبرنا أيهما رجحت : قال الشيخ عيش أو مثلك يفهم شرح
المقائد قال الكتاب حاضر وأنا حاضر فسلي ان شئت : فكبر على الطلبة
الحاضرين مثل هذه المراجعة من طالب للشيخ عيش المهيب وقال بعضهم
ان هذا يرسل شعره ويجمعه تحت عمامته وأخذ عمامته عن رأسه ولفظ
الحاضرون فتركهم الفقيده رحمه الله تعالى وذهب حاسرا عن رأسه فقال
أناس ان الشيخ عيشا ضربه وقال آخرون انه منعه من الدرس وكثرت
الاشاعات والافوال والرؤى والاحلام فيه وفي السيد جمال الدين والصواب
ان هذا كل ما حصل وان الفقيه لم يمتنع من قراءة الدرس ولكنه كان
يضع بجانبه عصا وقال اذا جاء الشيخ بمكازه فله هذه العصا وكان من
الشجاعة على ما يهد عارفوه كما سنبين ذلك في الكلام على أخلاقه . أما
تأثير هذه الحادثة فقد كان أكبر منها بل كان هو مبدأ خوض بعض
الجامدين في دين كل من السيد الحكيم والاستاذ الامام ورحمهما الله تعالى
وسنمقد لذلك فصلا خاصا في تاريخ الفقيه نبين فيه انه لم يسلم أحد من
أئمة الدين ولا من كبار الحكماء والصوفية من مثل هذا العطن وأنه من
مناب حكيمينا قدس الله روحهما وان الذين يتشفون بمثل هذا الخوض من
الاعداء والحاسدين ومن يقادهم من الساكنين والمجانين لو عقلوا لكتبوه

وسموا في ازالته

نعم ان ذلك الخوض والتقول مما نزين به تاريخ هذين الحكيمين ولكن لانكر ان تأثيره السيء وقع على الأمة الاسلامية عامة وعلى الازهر خاصة دون الرجاءين اللذين لم يحترم الناس لاسيما عقلاء الامة الاسلامية في هذا المصير أحداً من أهل المشرق كاحترامهم لهما فذاك انه كان عقبة في سبيل إصلاحهما واستفادة الأمة منهما وهما ما جوران عند الله تعالى بحسن نيتهما وبذلها جهد المستطاع في خدمة امتها وملتهما وقد كاد يترتب على ذلك حرمان فقيدنا من شهادة العالمية ومرتبة التدريس في الازهر لولا عدل الشيخ العبادي وإنصافه. كتب الاستاذ الامام رحمه الله عن امتحانه ما نصه :

« عرضت نفسي على مجلس الامتحان في ١٣ جمادى سنة ١٢٩٤ هجرية وابتليت في الامتحان أشد الابتلاء لتصب الأكثر من أعضائه مع المرحوم الشيخ عايش وكان يعاديني على الغيب اتباعاً لآراءه من لا رشد عندهم من بلداء الطلبة ، وكانوا قد أجمعوا أمرهم على ان لا يمنحوني درجة ما في العلم وجرت أمور قبل الامتحان يطول شرحها ولكن كان أمر الله أغلب فخرجت من هذا الامتحان بالدرجة الثانية وصرت مدرسا من مدرسي الجامع الازهر وأخذت أقرأ العلوم الكلامية والمنطقية » الخ وقد أخبرني رحمه الله ان بعض الشيوخ تقاسموا قبل الامتحان يمينا مؤكدة لا يأخذن فلان درجة ما ولما وقع الامتحان ورأوا من حسن الجواب عما سأله فوق ما كانوا ينتظرون ، طفقوا يناقشون ويراجعون ، وينقلون به ويستطردون، حتى صار الامتحان مناظرة ، تتولاها المشاغبة

والمكابرة ، فمئذ ذلك حلف الشيخ المباسي انه لم يرا احدا امتحن في عصره مثله وأنه لو كان فوق الدرجة الاولى درجة ممتازة لاستحقها فأراد أحد الشيوخ واطنه الشيخ الرافعي ان يوفق ويصلح فأخذ الورقة وكتب له بالدرجة الثانية وطفق يمرضها على اخوانه الذين كانوا متفقين على حرمانه ليوتموا عليها فوقعوا ثم أعطوها للشيخ المباسي فأمضاها لهم ولم يجب ان يراجعهم بعد أن رأى منهم ما رأى فظفروا ببعض المطلوب وهو حرمانه من الدرجة الاولى وما كانوا ضائرين .

حفظ طلبه العلم بعد التدريس والدخول في الاعمال

هذا مجمل سيرة الرجل في تاتي العلم عن الشيوخ منذ بدأ الى أن صار مدرسا وانك لتجد أكثر طلاب المعلوم عندنا يمدون أخذ شهادة العالمية غاية التحصيل والتعلم فلا توجه همتهم بعده الا الى استغلال العلم وطلب المال به واحراز الجاه والمكانة عند الناس بما ينالون به من وظيفة وعمل . وان صاحبنا لم يسلك مسلكهم بل سار على سبيل سلفنا الصالح الذين يؤثر عنهم : اطلب العلم من المهد الى اللحد : فكان يقول الى آخر حياته اني لا أزال طالب علم أبتغي المزيد منه في كل يوم . فكان له في طلب العلم ثلاثة أدوار أولها الطلب على طريقة الازهر المعروفة من المناقشة في عبارات كتب المؤلفين وقراءة المتون مع الشروح والحواشي والتقارير - سلكها زمنا حتى ملها وتوجهت نفسه الى علم أعلى وفهم أجلى فقبض الله تعالى له ذلك العلامة الحكيم السيد جمال الدين فقرأه علوماً أخرى على طريقة أسهل مسلكا وأقرب غاية ، فاتاشه من الاخلاص الى أرض المبارات الركيكة والاساليب الضعيفة ، والاحتمالات البعيدة ، ورفعه الى سماء فان الحقيقة ،

والانفصاح عنها بالمبارة الرشيدة ، بعد إطلاقة من قيود تقليد المؤلفين ،
وتمويده على الحكم باليقين ، فهذا هو الدور الثاني وهو خاص كسابقه
بالعلوم الاسلامية ، التي كتبت باللغة العربية ، مع شيء قليل من العلوم
الحديثة ، وتطبيق العلم على حال المسلمين الاخيرة ، وأما الدور الثالث فهو
النظر في علوم الافرنج قرأ رحمه الله كثيرا مما ترجم من الكتب ثم تعلم اللغة
الفرنسية فصار يقرأ الكتب فيها لا يكاد يتركها يوما من الايام . وكانت
عنايته بعلوم الاخلاق والنفوس وأصول الاجتماع الانساني والتاريخ وفلسفته
وفن التربية أشد من عنايته بسائر العلوم وقلما علم بكتاب لافرنجي يتكلم فيه
عن الاسلام والمسلمين الا واستحضره وقراه وقد قرأ عدة كتب في تربية
الارادة خاصة ، وفي سفره الاخير إلى سويسره تعلم هناك القلم المسند لانه علم
ان في بعض المكاتب الاوربية كتبافيه وان الانكار نقلوا من حضر موت بعض
ما هنالك من الآثار الحميرية ولذلك دخل شأن في تاريخ العرب والاسلام .
وهذه العلوم الافرنجية هي التي أعطته القوة المظيمة في المدافعة عن الاسلام
وفي زيادة البصيرة بخدمته لانه عرف من أين يهاجمه أعدؤه وكيف ترد
هجماتهم . وكان يقول من لم يعرف لغة من لغات العلم الاوربية لا يعد عالما
في هذا العصر وقد كتب لي في ترجمته عن تعلمه اللغة الفرنسية ما نصه :
« بدأت بتعلم اللغة الفرنسية عند ما كانت سني أربعين وأربعين
سنة ولكن ميلتي الى تعلم لغة أجنبية ابتداء في أثناء الحوادث العراقية فتعلمت
الهجاء ثم تركته ونسيتة تقريبا وعند ما سافرت الى فرنسا أول مرة أقمت
هناك عشرة أشهر كنت أحرر فيها جريدة العروة الوثقى ولم أتعلم شيئا من
الفرنساوية لان اجتماعي كان بالسيد جمال الدين ورفاق من العرب واشتغالي

بتحرير تلك الجريدة كان لا يسع لي وقت كاف للتعلم بدراسة منتظمة فذهب علي ذلك الزمن بدون فائدة في اللغة لا كثيرة ولا قليلة . أما بعد عودتي من النفي الى مصر واشتغالي بالقضاء في المحاكم الاهلية والحكم بها خصوصا في الجنايات علي أصول القوانين الفرنسية وجلوسي بين قضاة يناب عليهم العلم بتلك القوانين في لغتها فقد قوي عندي الميل الى تعلم اللغة الفرنسية حتى لا أكون في معرفة القوانين أضف بمن أجلس معهم مجلس القضاء وبعد عييتي الى القاهرة واشتغالي بالقضاء في إحدى محاكمها وجدت الوقت والحال مناسبين للبدء في العمل فبحثت عن معلم فوجدت أستاذا الأباس به فدعوته فجاءني حاملا كتاب نحو في يده (كرامير) فسألته ما هذا فقال كتاب نحو فقلت له لا وقت عندي لان ابديء وانما عندي زمن لان أنهي ثم ناولته قصة من تأليف الكسندر دوماس وقلت له أنا أقرأ وانت تصلح لي النطق وتفسر لي الكلم وما عدا ذلك فهو علي والنحو يأتي في اثناء العمل ، وهكذا أتمت الكتاب وكتابا بعده وثالثا عقبه وكنت أطالع وحدي بصوت مرتقم كلما وجدت نفسي في بيتي خاليا فتعلمت مبادئ اللغة الفرنسية وحصلت منها ما كان يمكنني من القراءة والفهم لكن ما كنت أستطيع الكلام

« سافرت بعد ذلك الى فرنسا وإلى سويسرا عدة مرات في أيام العطلة الصيفية وكنت أحضر دروس المعاملة في كلية جنيف وبهذه الطريقة تعلمت اللغة الفرنسية في أوقات الفراغ مع اشتغالي بالقضاء في المحاكم الابتدائية ومحاكم الاستئناف . ثم ان الذي زادني تعلقا بتعلم لغة أوروبية هو أنني وجدت انه لا يمكن لاحد ان يدعي انه علي شيء من العلم يمكن

به من خدمة أمته ويقدر به على الدفاع عن مصالحها كما ينبغي الا اذا كان يعرف لغة أوربية كيف لا وقد أصبحت مصالح المسلمين مشتبكة مع مصالح الأوربيين في جميع أقطار الأرض وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم أن يشتغل للاستفادة من خيرهم أو للخلاص من شر الشرار منهم» اهـ

الكلام في تربيته خاصة

هذا ما يقال في طلبه للعلم وأما تربيته فقد علم مما صر شيء منها وهو أنه نشأ في بيت يوصف أهله بالاخلاق الفطرية الحميدة التي لا ينقصها الا نور العلم وقد كان له ولم يمن في صباه الا بالفروسية وأعمال الرجولية فكان يلعب بالسلاح ويسابق الناشئين معه على ظهور الجياد ويكثر من السباحة وهذه الاماب مما يحسن أن يربي عليها الولدان بالتقصه كما قال الحكماء وعلما التربية وهي مما يربي عليه اولاد الملوك والامراء في أوروبا . بعد ان أخذ حظه من هذه التربية الفطرية أخذته الشيخ درويش خضر بالتربية الدينية فالزمه المزلة ومجاهدة النفس . وكان من جبلته أن يأخذ كل شيء بقوة فكان في مدة طلبه للعلم يصوم النهار ويقوم الليل بالصلاة والتلاوة والذكر ويمشي مطرقا لا ينظر الا حيث يضع قدميه ولا يكلم أحدا الا لضرورة وقد ظل عدة سنين لا يلقى نظره على امرأة أجنبية حتى في الطريق . وقد كان لكثرة الانهماك في الذكر والفكر والنظر في كتب التصوف والتنقل في أحوال القوم ومقاماتهم يخرج عن حسه ويزج في عالم الخيال أو عالم المثال كما يقولون فيناجي أرواح السابقين . ولو كان يجيز شرح ذلك لشرحناه ولكنه كان يقول ان ما يحصل للصوفية من الاحوال غير الطبيعية لا يجوز ذكره لغير العارف به ولا يجوز كتابته بحال ولو

كنت ما كالحكمة يقتل الذين يكتبون ذلك لانهم يفتنون كثير من الناس ولا يبيدون بها أحدا. وقال ما معناه ما زج أحد نفسه في عالم الخيال ثم قدر على الخروج منه الا ان يجذب به جاذب آخر ويخرجه منه وذلك قليل. وأقول إن السيد جمال الدين هو الذي أخرجه منه، ورتقى به الى ما هو خير منه، ولم يتمكن من ذلك الا بعد ان جراه عليه زمنا عرفه به أنه أعرف بتلك المعاهد، وأسبق الى تلك المشاهد، بما كان يحل له من عقد كلام الصوفية التي يعجز عن حلها، حتى أقنعه بأنه من أفراد أهلها، وسند كثر في التاريخ الكبير الذي نضمه فقيدنا شيئا مما كتبه على طريقة الصوفية. وأقول هنا لو كان الجماهير من الناس يعرفون في أيام حادثة الشيخ عيش شيئا من أمر الرجل في تصوفه وتسلكه لها جوا على الشيخ عيش وان كانت شهرته بالصلاح عظيمة وعلى من وشى اليه من فساق المجاورين ولما خاضوا في فقيدنا بالذي خاضوا ولكنه كان يبالي في كتمان ذلك خوفا من الرياء وحب السمعة والامة مستعدة للشر والشبهة عليه حضور كتب الفلسفة والكلام على عالم غريب وهو السيد رحمه الله أجمعين فلما ان السيد جمال الدين هو الذي نقل فقيدنا من حال الى حال في الترية كما نقله في العلم وكان الشيخ درويش هو الذي مهد له السبيل للأصربين. وقبل ان ننقل من الكلام في تربيته وتعليمه الى الكلام في عمله وإصلاحه نذكر ان الشيخ درويشا هو الذي رباه أيضا على التعرض للإرشاد الديني والتصدي لتبصير الناس فهد السبيل التي سلكها به السيد جمال - سبيل الإصلاح العلمي والسياسي. ذلك ان الشيخ درويشا رأى ان صريده قد كملت نفسه بمد العزلة الطويلة وكل سلوكه فصار بئامن من المماشرين الذين يقطعون الطريق على المرادين فأمره بمخالطة الناس والتعرض للإرشادهم وقد كتب رحمه الله في ذلك ما نصه:

قلت انني كنت في أوائل مدة طلب العلم بمد مجيئي الى الأزهر في عزلة عن الناس الا من استفيد منه علما أو نصيحة لكن بمد مضي سبع سنين على ذلك - والشيخ يقودني في سبيل الرياضة وقهر النفس على المكاره بالصوم تارة ولبس الخشن والتعرض لانتقاد الناس تارة أخرى - قال لي عند ما رجعت الى محلة نصر في سنة ١٢٨٨ : الى متى هذه العزلة وما الفائدة في العلم وتحصيله اذا لم يكن لك ورا تهتدي به ويهتدي به الناس ؟ ان من المكروه ان تستأثر بالفائدة دون أهل ملتك وان من لم ينفع بما تعلم فقد أضاع أهم ثمرة تقصد من غراس المعرفة فملك ان تخاطب الناس وتمظهم وترشدهم الى الطريق القوية والسنة الصالحة : فذكرت له اسم زازي من الناس وزهادتي في معاشرتهم وثقلهم على نفسي اذ القيتهم وبمدهم عن الحق ونهرتهم منه اذا عرض عليهم فقال لي : هذا من أقوى الدواعي الى ما حشنتك عليه فلو كانوا جميعهم هداة مهديين لما كانوا في حاجة اليك : ثم أخذ يستصحبني في مجالس العامة وينتج الكلام في الشؤون المختلفة ويوجه الي الخطاب لا تكلم فيتكلم الحاضرون فأجيبهم وانطلق في القول على وجل في أول الامر وما زال بي حتى وجد عندي شيء من الالفة مع الناس والاستئناس بمكالمتهم وفي شوال من تلك السنة ودعني وبكي بكاء شديدا ومات في السنة الثانية رحمه الله تعالى « اه أقول يظهر انه أحس بأن عمله قد تم بتكميل تربية مریده وأنه ألهم بأنه قد دنا أجله إذ تم عمله فبكي بكاء مودع وللصوفية من هذا الإلهام والشعور ، ما هو معروف مشهور ،

حفظ طور العمل والاصلاح

(تمديد) لو سأل سائل أي الرجال أعظم في الأمة وأفضل لاختلف



الجواب باختلاف أفهام الأفراد ومذاهبهم فهذا يقول أعظمهم العالم وذلك يقول بل الفلاسفة ، ويقول ثالث بل هو الرجل الصالح فينبغي رابع قائلاً بل القائد الفاتح ويخالفهم رجل آخر يدعي ان أفضل الناس السياسي الحادق ويقول آخرون أقوالاً أخرى. وإذا رجعت بالجميع الى البرهان رأيتهم يتفقون على ان أعظم الرجال وأفضاهم المصاحون الذين يوجهون عزائمهم الى رفع الأمة من الدرجة الدنيا الى الدرجة العليا، وهؤلاء قلما تجود الاجيال بواحد منهم على كثرة العلماء والصالحاء والقوادد السياسيين في كل زمان

إنما يكون الرجل عظيماً بأمرين أحدهما فطري لا يأتي بالكسب وهو الاستعداد الذي يكون له بكمال الخلقة واعتدال المزاج ، وحسن الوراثة للوالدين والاجداد ، وثانيهما كسبي وهو التربية القويمة والتعليم النافع ، وقد كان استعداد الأستاذ الإمام لكل أمر عظيماً حتى كان استعداده هو الاصل في حسن تربيته وتعليمه . فقد علمت مما صر أن فطرته السامية لم تقبل الاستمرار على حضور دروس لا تفهمها ولم يعرف هذا عن غيره من المبتدئين بطلب العلم حتى أذكيائهم الذين استفادوا بامد الماء فقد كانوا يصبرون على ما لا يفهمون زمناً طويلاً وإذا حفظ أحدهم شيئاً بالتكرار ظن انه هذا فهم وعلم لا سيما اذا حفظ تفسير المتن من شرحه وحاشيته . ولكن صاحبنا لم يكن يترك المسألة حتى يفهمها ويوقن أو يرجح ان الحكم فيها كذا . ولذلك أسرع اليه الملل من دروس مشايخ الاحتمالات . وكان يقول ان حضور كتب العربية على طريقتهم قد أضر بذهنه وعقله وانه ظل يكس ذهنه وينظفه منها بضع سنين فلم ينظف تمام النظافة . وأما السيد جمال الدين فانه كثيراً ما كان يشرح معنى المسألة حتى تتجلى للأفهام ثم يقرأ عبارة الكتاب ويطبقتها

عليها فان انطبقت والابان ما فيها من التقصير أو يقرأ العبارة ويبحث في دليلها فيقره أو يفنده ويجزم بغيره وبهذه الطريقة ارتقى الى أن يحكم بنفسه في المسائل ولا يرضى بالفهم مع التسليم لؤلف الكتاب فالذي امتاز به صاحب الترجمة على اخوانه الازهريين هو أنه في بدايته لم يرض أن يحضر شيئاً لا يفهمه، وفي نهايته لم يرض بما يفهمه الا بعد أن يستشير فيه الدليل فيرضاه له، وأنه لم يقنع بالعلوم المتداولة في الازهر بل كان من أوائل عهده بالعلم الى يوم وفاته يطلب العلوم ويقدم منها ما يزيد على كافي نفسه ويمينه على رفع شأن ملته وأمته، ولوانه تعلم في حدائته على طريقة قومية كما تعلم النابليون من حكماء أوروبا وعلماهم في المدارس النظامية ولم يضع ذلك الوقت الطويل في البطالة وفي الطريقة الازهرية الملتوية لرايانا من آياته العلمية أضمافاً ما رأينا على أن ماراً يناه يكاد يكون من الخوارق فانه لم يكن يتكلم في علم الا وراه صاحب التمدح الممل في حق كانه هو الواضع له، فمن شاء أن يقتدي بطريقته المثل من الازهريين وغيرهم فليعمل عسى أن يكون من المفلحين وأما تربيته فقد علمت مما تقدم آقانا انه تربى على طريقة الصوفية القومية الخالية من البدع والخرافات حتى ملك نفسه وكتبت أخلاقه وصار الدين وجدانا لاهم انتقل من ذلك الى أخذه بالبرهان وأهم ما اتفق له تربية الا واده أي ملكة العزيمة والإقدام فقد كان فيها نسيج وحده في أمته

تقدم ان الرجل توجهت نفسه الى العمل والاصلاح قبل ان يصير مدرسا رسميا فبدأ بإحياء اللغة ونفع روح العلم والدين في الازهر ثم ان السيد جمال الدين وجه وجهه الى الاصلاح الاجتماعي والسياسي فجعله ساعده وعضده في ذلك فاشتغل بها مدة ثم استقر رأيه على ان الاصلاح محصور في إحياء لغة الامة وإصلاح نفوسها بالتربية الصحيحة والتعليم النافع

بؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتها الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الملك

فيشر جمادي الثاني يستمعون القول فيقيمون أحسنه أو تلك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوتا وهو منارة كمنارة الطريق)

(مصر - غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٣ - ٢ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٥)

تمت ملخص سيرة الاستاذ الامام

دخوله في الماسونية - من التهديد

كان السيد جمال الدين قد أخذ على نفسه العهد والمواثيق أن يعمل عملا عظيما ينهض بدولة إسلامية نهوضا يميذ للاسلام مجده وكان مضطرا لذلك الا انه كان مستمجلا يريد أن يعمل هذا العمل العظيم ويرى أثر نجاحه وثمره غراسه في حياته لذلك جاءه من طريق الحكومة والسلطة وتوسل اليه بالعلم فأتخذله في مصر تلاميذ بدأ يقرأ لهم كتب أصول الدين والفلسفة حتى اذا ما وثق بهم مزج لهم السياسة بالعلم وخاف استبداد اسماعيل باشا أن يحول بينهم وبين ما يشتهون فانتظم مع مردييه في سمط الجمعية الماسونية وكان بأمحامهم رئيس محفل صرن فيه تلامذته على الخطابة والبحث في حياة الامم وموتها ونهوض الدول وسقوطها وقد دخل في هذا المحفل شريف باشا وبطرس باشا غالي وكثيرون من الكبراء والاذكباء وكان توفيق باشا

ولي عهد الخديوية مشايخا للسيد ومخزنه ومكان صاحب الترجمة من السيد مكانه المعلوم فكان دخوله في الماسونية متما لتربيته وتعليمه ووصلة بينه وبين توفيق باشا وكثير من رجال مصر وسببا لبحثه في أحوال الحكومة المصرية ووقوفه على نقائصها ومساوئها وتوجهه إلى السعي في إصلاحها ومهدا له الطريق للعمل الذي قام به قبل الثورة وبعدها على ما قصه هنا بالإيجاز وفي التاريخ الذي سنؤلفه للنقيد بالتفصيل . وقبل أن ننقل من هذا التمهيد نقول ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ترك الماسونية من زمن طويل وقد أكثر أبناءها من دعوته إلى محافظها بمد رجوعه من النفي إلى مصر فلم يجب وأهدوا إليه وساما فلم يقبله . وقد سأته عن حقيقته مرة فقال ان عملها في البلاد التي وجدت فيها للعمل قد انتهى وهو مقاومة سلطة الملوك والباباوات الذين كانوا يحاربون العلم والحرية وهو عمل عظيم كان وكنا من أو كان ارتقاء أوروبا وانما يحافظون عليها الآن كما يحافظون على الآثار القديمة ويرونها جميعة أدبية تفيد التعارف بين الناس . وأخبرني بأن دخوله مع السيد فيها كان لغرض سياسي اجتماعي وانه قدر كما من سنين ولن يعود إليها وانها ابتدأت في مصر ابتداء لم يكن من قبل . وأخبرني أنه أرشد مرة أحد ولاة بيروت إلى إبطال محفل ماسوني علم انه يكيد للدولة المليدة بإيماز بعض الدول الأوروبية فباب ذلك الوالي وخن أنه فوق قدرته ولكن النقيد رحمه الله تعالى هداه السبيل إلى ذلك وشد من عزيمته ففعل ، بل كان مبدأ انسحابه مع السيد جمال الدين من الماسونية عند ما جاء إلى مصر رئيس الشرق الأعظم الانكليزي وهو يومئذولي العهد للدولة الانكليزية فاجتمعت المحافل الماسونية حفاوة به وذكر أحد رؤسائها ولي العهد بهذا اللقب فاعترض

السيد جمال الدين وقال انه لا يسمح بأن يحتفل بأحد على أنه ولي العهد لدولة من الدول لاسيما الدولة الانكليزية التي من وصفها كيت وكيت وليس لها فضل على الجمية الخ ماقاله ولا أذكر منه الا مثل هذا الاجمال فرد عليه بمض رؤساء المحافظ وبعد مناقشة انسحب من الماسونية هو وخواص صريديه . ولما رأى بعض علماء الازهر بعد ذلك ترقى الاستاذ الامام وتنوزه في الحكومة توهموا ان ذلك بمساعدة الجمية له فدخل كثيرون منهم فيها ومنهم من دخل بدعوة بعض أصحابه من أهلها ولم يدخل أحد منهم لأجل عمل يفيد الأمة والبلاد الا جماعة السيد جمال الدين

حجرات إصلاح في مدارس الحكومة والازهر

إذا تمهد هذا فنقول : قد عين الفقيد في أواخر سنة ١٢٩٥ مدرسا للتاريخ في مدرسة دارالمعلم والمعلم العربية في مدرسة الألسن الخديوية فكان يدرس فيها مع الاستمرار على التدريس في الجامع الازهر فبدأ في دارالمعلم بقرائة مقدمة ابن خلدون لانها مقدمة للتاريخ وإنما عرضت أفكاره السياسية والاجتماعية في أذهان التلاميذ فكان يطبق ما فيها من الكلام عن نهوض الدول وسقوطها وشؤون العمران وأصوله على أمتة ويبين أسباب ضعفها والوسائل التي تذهب به وتبيد اليها ما فقدت من عزها ومجدها . وكان يكلف التلاميذ كتابة المقالات والنصول في ذلك فكان كل واحد يشمر بروح جديد يدب في هيكله ويرى نفسه مخلوقا لخدمة بلاده وإعلاء شأن أمتة . وقد كتب رحمه تعالى في ذلك المهد كتابا حافلا في علم الاجتماع وفلسفة التاريخ انتقد فيه بعض مقالته ابن خلدون واستدرك عليه وبين ما نسخته طبيعة الاجتماع في هذا العصر

من أحكام الممران في العصور الغابرة . وكان في مدرسة الألسن آية
البيان في إحياء اللغة العربية وإشراع الطريق اللاحب في التعليم ، والخروج
بالطلاب من مأزق المهمل القديم ، ثم ان دروسه في الازهر كانت بناء جديدا
للمقائد على أسس البراهين القطعية ، وتجديدا لما بلي من سائر العلوم العقلية ،
وكانت حلقة درسه في الأزهر واسعة جدا تحيط بأعمدة كثيرة وكان يقرأ في
بيته درسا في الاخلاق أو السياسة لطائفة من المجاورين قرأ في ذلك كتاب
تهذيب الاخلاق لابن مسكويه الرازي . فكان ذلك سبب طبعه المرة الاولى
وقرأ كتاب (كزوا) في السياسة ولا أدري أنه أم لا

كان القصد من هذه الدروس تكوين نابتة جديدة من السكان في
مصر تحيي اللغة العربية والعلوم الاسلامية ، وتقوم عوج الحكومة المصرية ،
فقد كانت هذه الحكومة لذلك المهمل قد رثت ووهت ، ووقعت في التزع
أو اوشكت ، عظم فيها سلطان الاجانب ، وأحاطت بها سيول الفتن من
كل جانب ، ومنيت الامة التي تمدها بالترربة والمسغبة ، وضربت عليها الذلة
والمسكنة ، ذلك بما سرف اسماعيل باشا في الضرائب والمكوس ، وتهذيب
الاجساد والنفوس ، فاما آثار اسماعيل باشا في البلاد فلا يزال الكحول
والاشياخ يحدثون بها الشبان والعلمان ، وامام افعله السيد جمال الدين ومريده
الشيخ محمد عبده من السمي في إصلاح الحكومة في الحال ، وتربية الرجال
لأجل الاستقبال ، فلا يعرفه الا من كان يعمل مههما ، ويتلقى عنهما ،
ومن شاء من أهل هذه الديار ، أن يروي شيئا من تلك الأخبار ، فليراجع
من بقي من تلامذتهما الاخير ، كالشيخ عبند الكريم سلمان وسعد بك
زغلول و ابراهيم بك اللقاني وحفني بك ناصف ومحمد بك صالح وساطان

اشهداء من شبكة الألوكة
www.alukah.net
افندي محمد وغيرهم. ولو طال العهد على عملهما تم لهما المراد ولما حدثت الثورة المرابية، ولكن خاتمها الزمان، وما قدر كان،

كان من عمل السيد جمال الدين ومريد به أن اتصلوا بولي العهد توفيق باشا الخديو السابق واتفقوا معه على تغيير شكل الحكومة واصلاح شؤونها فكان يمد السيد والشيخ من أقوى أنصاره وأوليائه ولما انتهى الحيف والجور والخلل بخلع اسماعيل باشا ونصب توفيق باشا أميراً على مصر في رجب سنة ١٢٩٦ طفق السيد جمال الدين يطالبه بإنجاز وعوده وأولها إنشاء مجلس نواب للحكومة وجعل الوزارة مسؤولة وظهرت طلائع الاصلاح على يده ولكن وجد من الواشين من غير قلبه على السيد والشيخ وأوهمه انهما يسعيان في تقييد سلطته أو إزالتها فأمر بنفي السيد فأخذ من داره ليلاً في عربة مغلقة وليس عليه غير قميص واحد وأرسل في قطار خاص الى السويس ومن هناك ذهب الى الهند وأمر بعزل الشيخ من مدرسة دار العلوم ومدرسة الالسن وبان يقيم في قريته (محلة نصر) لا يفارقها الى بلدة أخرى وخاصة عاصمة البلاد والمدن الكبيرة كالاسكندرية وغيرها . وكان ذلك في رمضان سنة ١٢٩٦

عمله في المطبوعات والحكومة

وفي أواسط سنة ١٢٩٧ توجهت عناية رياض باشا الى تحسين كتابة الجريدة الرسمية وجعلها مفيدة مرغوباً فيها من الناس فاستشار الشيخ حسين المرصفي ومحمود باشا سامي البارودي كلا علي حديثه فأشارا برأي واحد كأنهما توأما وهو جعل الشيخ محمد عبده محرراً فيها ففعل بمسك ان استرضى توفيق باشا فصدر الأمر العالي بتعيينه محرراً ثالثاً وانتظر رياض باشا

مدة من الزمن فلم ير تغييرا يحمد . ثم إنه كتب من الاسكندرية بأمر قلم المطبوعات في مصر بأن تكتب مقالة في مالية مصر تلم بشيء من تاريخها الماضي وحالتها الحاضر الذي وضع له قانون التصفية وان تنشر هذه المقالة في أول عدد يصدر من الجريدة الرسمية وكان قد بقي له يوم واحد فخاص كتاب الجريدة وحاروا وأرسلوا الى صاحب الترجمة من أحضره من الازهر وكافوه مكتابة المقالة فكتبها في مجلته ونشرت فلما قرأها رياض باشا أعجب بها أشد الإعجاب وسأل عن كاتبها فقيل له هو فلان فزاد عجبه أن وجد في الازهر شاب واقف على تاريخ المالية في مصر عارف بجميع شؤونها قادر على بيان ذلك والافصاح عنه . وفي أواخر هذه السنة طلبه رياض باشا وسأله عن رأيه في اصلاح الجريدة فبين له رأيه في تقرير ضاف فأصر بأن تواف لجنة للنظر في التقرير من وكيل الداخلية ومدير المطبوعات وكاتب التقرير وان توضع لأئحة لقلم المطبوعات وتحرير الجريدة فكان ذلك وعين الفقيه رئيسا لقلم تحرير الجريدة الرسمية العربية فاختر لها من المحررين المهرة الشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ سعد زغلول (هو سعد بك زغلول المستشار بحكمه الاستئناف لهذا العهد) والشيخ سيد وفا (رحمه الله) وهم ممن كانوا يحضرون دروسه ودروس السيد جمال الدين وبرعوا في الكتابة معه على يد السيد . ثم ماذا كان من شأنه ؛ كان مامم بجديد و يكن يخطر على قلب بشر وهو أن رئيس التحرير للجريدة الرسمية صار مهيمنا على الحكومة والامة ينتقد الاعمال والاقوال ، وينتقل بالناس من حال الى حال ،

وضع لأئحة أوفانا نقلم المطبوعات أجازة وأنفذه رياض باشا فكان

من أحكامه أن جميع ادارات الحكومة ومصالحها ومجالسها في العاصمة وغيرها ملزمة بأن تكتب الى ادارة المطبوعات بخبرة بما عمت فأتمت وما شرعت فيه وكذلك المحاكم ترسل اليها نتائج أحكامها ، وان لادارة المطبوعات الحق في انتقاد كل ما رآه متقدما من الاعمال ، وأن لها حق المراقبة على الجرائد الوطنية والاجنبية التي تصدر في القطر المصري وان تبحث عن حقيقة ما تقوله في رجال الحكومة وأعمالها وعلى الحكومة مساعدتها على ذلك بمعنى أنه اذا نشر في بعض الجرائد ما تآب ادارة المطبوعات فيه فإن لها ان تسأل المصلحة أو الادارة التي يسند اليها ذلك عن الحقيقة بواسطة نظارة الداخلية ان لم يكن مباشر مسندا الى النظارة والاسألهاهي مباشرة فان كان حقا ما نشر في الجريدة وجب على الحكومة مؤاخذه من نسب اليه الذنب وذكر ذلك في الجريدة الرسمية وان كان كذبا طوب مدير الجريدة بإثباته والا انذر واذا تكرر إنذار جريدة ثلاث مرات يمنع إصدارها ألبتة أو الى الأجل الذي تراه الادارة . وان من حتى رئيس تحرير الجريدة الرسمية أن يجعل فيها قسما غير رسمي ينشر فيه لنفسه ولغيره ما يراه نافعا من المقالات الادبية (ويدخل في الادبية الاجتماعية والاقتصادية وما أشبه ذلك) وقد أجاز هذا القانون واتقده رياض باشا لئلا من العناية بالاصلاح ولتفتنه بكفاءة صاحب الترجمة وغيرته وإخلاصه في الخدمة لعامة وإذ في هذا لمبرة لأولي الالباب - صاحب عمامة أزهرية يدخل في حكومة مطلقة بميدة في أعمالها عن رجال العلم والدين فيشرف من نافذة غرفة تحرير الجريدة على نظارات الحكومة ومجالسها ومحاكمها ومصالحها فيصالح لهم ما يكتبون ، ويرشدهم الى اصلاح العمل فيما يعملون ، ثم يشرف من نافذة اخرى على الامة فيقوم من اخلاصها ،

ويصلح مافسد من عاداتها، بالوعظ الصحيح ، والارشاد الحقيقي، ويطل من نافذة نالته على الجرائد العربية فيعلمها حسن التحرير ويربها على الصدق في القول ويجعل للصادق منها سلطانا نصيرا ، وتأثيرا ، أثورا ، ياله من عمامة شرفت برأس صاحبها حتى حسدتها الطرايش ، وهابها التيجان والبرانيط، ونذكر هنا علي سبيل الفكاهة ان بعض الكبراء رغبوا الى الاستاذ الامام في ذلك العهد أن يستبدل الطربوش بالعمامة لان صاحب العمامة لا يرتقي الى مراتب الرؤساء والنظار كصاحب الطربوش فأبى عليهم ذلك فأرادوا الاستعانة عليه برياض باشا فأوهوه انه يميل الى لبس الطربوش ولكنه لا يلبسه الا بأمره فسأله فظهر له انه لا يرغب في ترك زيّه وأنه اذا أُلزمه بذلك إلزاما فانه يمثل مادام في عمل الحكومة فاذا خرج من عمله عاد الى عمامته فقال رياض باشا كلا اني لا أرضى لك الطربوش لاني أحب أن يعلم الناس انه يوجد تحت العمام من المقول والافهام مثل ما يوجد تحت الطرايش وغيرها . فلهذا درّ رياض باشا وجزاه الله الخير فانه هو الذي أحضر السيد جمال الدين ومكن له في أرض مصر وهو الذي كان السبب في ظهور مواهب الشيخ محمد عبده في أول نشأته حتى انه حكمه في انتقاد نظارة الداخلية وهو أحد العمال المتوسطين فيها

كان من أثر مراقبة ادارة المطبوعات للجرائد ان اجتهد أصحابها في

انتقاء المحررين وقد أنذر عامله الله تعالى باحسانه مدير جريدة شهيرة بمنع جريدته اذا لم يختر لها محررا صحيح العبارة في مدة عينها ففعل ذلك ذلك المدير . ولم يكن يأذن بطبع كتاب من الكتب الضارة . وكان من أرائد انتقاد كتاب الحكومة أن به شأن المجيدين عنهم وفتحت مدارس ليلية

لتعليم المقصرين وتبرع بعمده الله برحمته بقراءة درس في بعضها . فهذا هو مبدأ النهضة القلمية الحقيقية في مصر فالفضل فيها للسيد جمال الدين والشيخ محمد عبده ورحمهما الله تعالى

وأما انتقاد أعمال الحكومة فكان من أسباب تحريها الحق والعدل والاجتهاد في اصلاح كل نظارة وقد عني الفقيد يومئذ بنفسه في انتقاد نظارة المعارف ومثل مساوي التعليم والترية في مدارسها شر تمثيل فضايق ذرع ناظر المعارف لذلك المهذ فلاذ رياض باشا كيامن الجريدة الرسمية فقال له رياض باشا ان كان ما كتب حقا فلا وجه للشكوى منه وان كان باطلا فعليك أن تبين ذلك بالدليل والبرهان وفلان ينشره في الجريدة الرسمية نفسها فانه لا يقصد بما يكتب فيها الا المصلحة فسكت الناظر واجما

رحمه الله في مجلس المعارف الاعلى

اقتنع رياض باشا بما في نظارة المعارف من الخلل وعلم ان ما يكتب في الجريدة الرسمية حتى فذا كر الفقيد في ذاك وفي مسائل تلافيه فرض عليه ان يكون للمعارف مجلس اعلى يكون له الحكم الفصل في ادارة المعارف العمومية ويكون الناظر منفذا لما يقرره فانفذ ذلك رياض باشا وجعل صاحب الترجمة عضوا في هذا المجلس فكان له فيه الاقتراحات النافمة ولولا كثرة ما جعل فيه من الاعضاء الاجانب الذين كانوا يعارضون المشروعات النافمة للبلاد ثم حدوث الثورة لارتقت معارف البلاد في ذلك العهد ارتقاء عظيما . صدر الامر العالي بتشكيل هذا المجلس في ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٢٩٨ وقد تألفت منه لجنة للنظر في اصلاح طرق التعليم والترية في جميع المدارس وكان الفقيد الكاتب العربي جلساتها وكان

له فيها الآراء الصحيحة والحجج القوية على ما يطلب من الإصلاح
اذكر من اقتراحه شيئا سمعته ولا ادعي اني احطت به كل الاحاطة
وهو انه اقترح مرة على المجلس ان يطلب من الحكومة مبلغا عظيما من
المال يوزع على المدارس الاجنبية مكافأة لها على خدمة العلم ونشره في
البلاد فهش الاعضاء الاوربيون لهذا الاقتراح وعارض فيه بعض الاعضاء
الوطنيين ووافق الآخرون الذين عرفوا ما يرمي اليه المقترح فتقرر بأكثر
الآراء . ثم انه اقترح في جلسة أخرى أن يقرر المجلس وجوب جعل
المدارس الاجنبية تحت مراقبة نظارة المعارف لينظر منشو النظارة في نظام
التعليم فيها فهش الاعضاء الوطنيون لهذا الاقتراح وعارض فيه الاجانب
فأقام عليهم الحجة بأن جميع الدول الأوربية تراقب جميع المدارس التي
تأخذ منها إعانة وتفتش مدارسها اذ يجب على الحكومة أن تعلم انها
لا تضيع دراهمها بل تنفقها فيما ينفع بلادها . فقال بعضهم ان هذا قول
حق وانما نعارض الآن في هذا الاقتراح لاننا نعلم أن المعارف في مصر منحة
وانما اجتمعنا لترقيتها وأرباب المدارس الاجنبية مرتقون في العلوم والمعارف
ولا يصلح السائل للاشراف على من هو أعلى منه ولا المنحط للحكم على
المرتقى . فقال الفقيه رحمه الله تعالى كان يصح هذا الدفاع لو لم تكن أنت
ورفائك من أعضاء مجلس المعارف المصري فاذا كان الطلب في نفسه حقا جديدا
وعدلا فلا يصح أن يرفض لان المعارف الصومية لم ترتق في البلاد المصرية
لان عدم ارتقاء المعارف وانتظام المدارس لا ينافي وجود أفراد من
الموعظين في النظارة من الأوربيين أو المصريين المتعلمين في مدارس أوروبا
العالية يصلحون لتفتيش المدارس الاجنبية : فهضت حجته وتقرر اقتراحه .

اشهداء من شبكة الادوية
www.alukah.net

وانها لأمنية يتحز على ذكرها السلطان والامير ، ويسبل لتوهه والماب
الناظر والوزير، ولكن نقت دونها الآمال حسرى ، وتنحني أمامها العقول
حسرى ، وتكبو في غاياتها جياذ السياسة ، ويصفر عن الطمع فيها أهل
الرياسة ، ثم تسمو اليها تلك الهمة ، وتستنزلهما من أعلى القمة ، ولولا الفتنة
المراية لجعل لنا ذلك المصو أو الكاتب ، سيطرة على مدارس الاجانب،
على ما كان لهم في ذلك الزمان ، من النفوذ والسلطان ، فكيف لو كان
ذا منصب أعلى ، ونفوذ أقوى ،

(دعوته نظارة الاوقاف الى الاصلاح)

كان لنظارة الأوقاف من حظ إرشاده تقمنا الله بعلومه وآثاره نحو
ما كان لسائر النظارات ومصالح الحكومة وكان من تأثير إخلاصه أن
عزمت هذه النظارة يومئذ على عمل جليل وهو أن تصل دار الكتب المصرية
(الكتبخانه) ومدرسة دار العلوم بالأزهر وتوسع دائرة المدرسة بحيث
تدرس فيها جميع العلوم ويبلغ عدد طلابها ٥٠٠ طالب ويكون المتخرجون
فيها هم المقدمين في أعمال الحكومة ولو تم هذا لكانت الاوقاف ينبوع
الحياة لهذه البلاد . ولكن حال دون هذا ودون ما كانت الحكومة
شرعت فيه من الاصلاح الاداري والتضائى والمسكري تلك الفتنة المشؤمة

ثورة العرابية

علم مما تقدم ان البلاد المصرية كانت في أواخر إمارة إسماعيل باشا
في ظلمات بحر من الظلم لحي ينشاه موج من نوره موج من فوره سحب
ظلمات بعضها فوق بعض - ظلمة الجور والظلم وظلمة الفقر والفاقة وظلمة
الشور وفساد الاخلاق والآداب وظلمة تحكم الأجانب وسيطرتهم

على الحكومة بحجة المراقبة المالية للمالهم من الديون على اسماعيل باشا وسلطتهم على الرعية التي أغرقها في الاستدانة منهم كثرة الضرائب والجزى، وكثرة الضرب وسوء الجزاء، . وكان يظهر من عمرات هذه الظلمات بصيص من النور في مواضع مختلفة لمتجدوة منه في الازهر فنفع الشيخ عيش نقشة أخذتها ولكنها ما أطفأ نهاراً كان هذا النور يظهر في معاهد خاصة فتمشوا اليه الابصار، ويسير في ضوءه من سائر، حتى أشرق وتلا في ادارة المطبوعات، وانتشر نوره في سائر الجهات، وكان ما كان من أخذ الحكومة والناس بوسائل الاصلاح ومقاصده فرحين مستبشرين بأمرهم الجديد (توفيق باشا) لعفته عن أموالهم، ورغبته في إصلاح حالهم، وبوزيرهم العامل المخلص (رياض باشا) واذا بناجم الفتنة قد نجم، وطائر الشر قد وقع، إذ هب ضباط الجيش من المصريين يطالبون بحقوقهم، وأيديهم على مقابض سيوفهم، وتلك هي مايسمونه بالثورة العرابية

لا يميننا في هذا المقام خبر هذه الثورة ولا تاريخها وانما يميننا أن نبين في تاريخ أستاذنا انه كان كارها لها منددا بزعمائها وهو بينهم لأنه كان يعلم انها تحبط عمله الذي مضى فيه، وكل إصلاح عمله الحكومة أو تنويه، وانها تمهد للأجانب سبيل الاستيلاء على البلاد بل كان هو واستاده يتوقنان ذلك من سيرة اسماعيل باشا وقد صرح السيد بذلك في خطبه وفي بعض ما كتب وطبع لذلك المهدي وحاول أن يحول دون ما يخشى ويتوقع بالسمي في الاصلاح فليس ما نقوله عن أستاذنا من أنه كان لا يجهل خطر الثورة بالذات والرجم بالغيب، بل هو قول مؤيد بالدلائل وثابت بالرواية الصحيحة عنه وعن الصادقين من العارفين بما كان .

كان ينتقد على زعماء الثورة بالقول خطابة وجدالا في اندتهم وسماهم
وبالكتابة في الجريدة الرسمية حتى أرسل اليه عرابي مرة من يهدده ويقول
انك أهنت الشرف العسكري بما كتبت عن الجيش ورؤسائه . أرسل
اليه ضابطين الى تلم المطبوعات من الداخلية فطردهما وهددهما بالضرب
اذا هما لم يخرججا . وكان عرابي وأعوانه ينفذون من المجلس يدخل فيه
زار مرة طلبه باشا في أيام عيد الفطر فاذا بعرابي وأعوانه جلوس
يتكلمون في الاستبداد والحرية والحكومة المطلقة والحكومة النيابية
الدستورية واتفقوا على أن الأمن على الارواح والاموال ، وصعود الأمة
في صراحي الكمال ، من آثار الحكومة المقيدة بلا جدال ، وان هذا
التحويل قد آن في مصرأوانه ، وأدركها إبانه ، فعارض الاستاذ في ذلك
وقال ان أول مايجب ان يبدأ به التربية والتعليم لتكوين رجال يقومون
بأعمال الحكومة النيابية على بصيرة مؤبدة بالمزمنة ، وحمل الحكومة على العدل
والاصلاح ومنه تمويدها الاهالي على البحث في المصالح العامة واستشارتها
اياهم في الامر بمجالس خاصة تنشأ في المديریات والمحافظات ، وليس من
الحكمة أن تعطى الرعية مالم تستعد له فذلك بمثابة تمكين القاصر من التصرف
بما له قبل بلوغ سن الرشد وكما التربية المؤهلة والمعدة للتصرف المفيد .
فطنق عرابي يجادله هو وأحد أساتذة المدرسة الحربية وكان مما احتج به
الفقيد عليهما أن الأمة لو كانت مستعدة لمشاركة الحكومة في ادارة شؤونها لما
كان لطاب ذلك بالقوة العسكرية معني فيطالب به رؤساء العسكرية الآن غير
مشروع لانه ليس تصوير الاستعداد الأمة ومطلبها ويخشى ان يجر هذا
الشغب على البلاد احتلالاً أجنيا يسجل على مسيبه اللعنة الى يوم القيامة ،

عند ذلك أبدى المجدد نواجذه لغير تدميم وقال أرجو أن لا استحق
 هذه اللقمة وابس الجند هو يظلم مجلس النواب ولكنه ، وطلب أعيان
 البلاد ووجهائها ، ثم أمر إلى الاستاذان سلطان باشا جمع الأعيان لهذا الطلب ،
 وقد كتبنا في ص ٥١٢ من مجلد المنار الرابع رداعلى صحافي عرض بأن
 الاستاذ الامام كان من أركان الثورة المرابية نذكره هنا وهو
 « عرض هذا الانفجاني المتذبح بذكر الفتنة المرابية وباليته كان
 يعرف حقيقة الفتنة المرابية ويعرف المهورين فيها والناصبين لهم بالاعتدال
 فهو لا يعرف ولا يحب أن يعرف وإذا أحب فليسأل العارفين ، وليراجع
 كتابة الكاتبين ، وعند ذلك تظهر له مزية من عرض به ان كان من المنصفين ،
 يظهر له أن هذا الرجل الكبير العقل البعيد الرأي كان ينتقد أعمال عرابي
 وتهوره في جريدة الوقائع الرسمية في القسم الادبي منها على حين ترمده
 فرائص قصر الخديوية من عرابي وحين يرى هذا المتقدم الشجاع ان
 رئيس النظار ينزل من ديوانه بأمر عرابي مكرها ويسمع من أتباعه ما
 يكره ، وتظهر له تلك الخطبة التي خطبها هذا الرجل العظيم في زعماء الثورة
 المرابية عند ما الزموه بحضور مجتمهم وان يقوم فيهم خطيبا . ماذا كان
 موضوع خطبته ؟

« كان موضوعها بيان تاريخي بأن المهور في سير الأمم وسنن الاجتماع
 أن القيام على الحكومات الاستبدادية وتقييد سلطتها وإلزامها بالشورى
 وبالمساواة بين الرعية انما يكون من الطبقات الوسطى والدنيا اذا نشأ فيهم
 التعليم الصحيح والتربية النافذة وصار لهم رأي عام ، وانهم يهتفون في أمة من
 أهم الارض ان الخواص والاعنياء ورجال الحكومة يطلبون مساواة أنفسهم

بإثر الناس وإزالة امتيازاتهم واستئثارهم بالجاه والوظائف ومشاركة الطبقات الدنيا لهم في ذلك فكيف حصل في هذه المرة ومن أهل هذا المجتمع؟ (قل) فهل تغيرت سنة الله في الخلق وانقلب سير العالم الانساني أم بلغت الفضيلة فيكم حدًا لم يبلغ اليه أحد من العالمين حتى رضيتم واخترتكم عن روية وبصيرة أن تشاركوا سائر أمتكم في جاهكم ومجدكم وتساووا الصماليك حبا بالعدالة والانسانية؟ أم تسيرون الى حيث لا تدرّون، وتعملون ما لا تعلمون؟ : وأمثال هذا الكلام الذي فهمه بعضهم فظنّوا ينفضون رءوسهم وعلا على أفهام الآخرين

«هذا ما قاله الشيخ محمد عبده في أعظم مجتمعات رؤساء المرابين ولو كانوا يقولون لرجعوا به الى رشدهم ولكن الأمة لم تكن استمعدت لفهم ارشاد هذا الحكيم ولما تستعد الى الآن، ولهذا الاستاذ ان يتمثل بقول ابن الفارض رحمه الله تعالى

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى
ولكنها الاهواء صمت فأصمت
هذاما كتبناه منذ أربع سنوات كاملة . ولا حاجة الى كثرة الشواهد والوقائع في هذه السيرة المختصرة

ولا يلتبس على القارىء معارضة الاستاذ الامام للمرابين في مشروع مجلس النواب وتقييد السلطة مع أنه كان الداعي الثاني الى ذلك بعد أسناده وأول من تلقى ذلك عنه فانه كان يحاول أن يكون ذلك برضى الامبر وحكومته لا بالخروج عليه وأن يكون في البداية من قبيل التحرين والتمويد مقرونا بالتربية والتعليم الى أن تبلغ النابتة الجديدة أشدها، وتصل من طريق الحكمة الى رشدها، وقد رأيت كيف كان التوصل منه، فيها

روينا ذلك عنه، وهو لم يفارق القوم المطالبين بالصلاح عندهم هيب الفتنة، وبلغنا إلى قصر الامارة أو تيفياً ظلل العزلة، لانه في فكره وسط بين الطرفين، وفي عمله بين المصلحتين، وقد قال لعراقي سراراً كثيرة عليك بالهدوء والسكينة وأنا اضمن لك أكثر مما تطلب في بضع سنين ونهاه بعد ذلك عن محاربة الانكاز.

انتهت الثورة بالاحتلال الانكازي وقبض على زعمائها وأتقوا في غيابة السجن ليحاكموا فيقتلوا تقتيلاً . وجعل الفقيد منهم لاصراً ما وصدر الامر بأن تكون محاكمتهم بالقانون الانكازي وعين لهم محام انكازي جاءهم فسمع منهم وكانهم ان يكتبوا دفاعهم بأيديهم كل يكتب عن نفسه، ولا يطمئن في غيره، فلم يرفى كتابة أحداً ما تقوم به الحجة، وتقدم به التهمة، ويدل على الفروض في أعماق الحوادث، والاحاطة بما لها من الأسباب والنتائج.

الا ما كتبه وما قاله فقيدنا بالامس، وقد زاد المحامي على بيان ذلك ان اشمره باخفايا، وأطلعه على ما في زوايا القصر من الخبايا، كقوله ان الحاشية خاطبت محافظ الاسكندرية بلسان البرق بكذا في يوم كذا وعدد كذا بأن يفعل كيت وكيت . وأعطاه من المستندات ما يتلب وجه المسألة، ولا ترضى إظهاره السياسة، وسنشرح ذلك في تاريخ الفقيد بالتفصيل . حكم على عراقي ورفاته المروفين بالنفي الابدي وعلى صاحب الترجمة بالنفي ثلاث سنين وثلاثة أشهر، وقد كان النفي بلاء وشقاء على كل المنفيين حاشا الامام فانه كان رحمة له ونعمة عليه ومن يدا في كمال علمه وتربيته وسبباً لنشر علمه في بلاد كثيرة. ذلك انه كان من أهل الاخلاص والتقوى فجعل الله تعالى له من كل ضيق فرجا ومخرجاً بل بدل له النعمة نعمة والسنة حسنة فكان مبدأ حياة جديدة له نبينها فيما يلي هذا

الدين في نظر العقل الصحيح

﴿ المقالة الثانية - اصحاب الامضاء ﴾

النبوة

النبوة إصلاح في الارض من قبل الله تعالى على يد شخص مصطفيه من بين خلقه .
 معنى أنها من قبل الله أنها ليست مستبدة من معلومات من جاور هؤلاء المصطفين
 الاخير من الاقوام . بل هي أرقى بكثير مما عليه الناس وما وصلوا إليه . وفائدتها تقدم
 العالم بسرعة إلى الامام وإصلاح ضماير الخلق وماتكته صدورهم بسبب ما توجه به من
 الايمان باليوم الآخر وما فيه من عقاب أو ثواب وبذلك تستقيم أمورهم في السر والعلن
 ذكرنا الايمان باليوم الآخر وحده ولم نذكر الايمان بالله مع أنهما مرتبضان أنهم
 ارتباط لأن الاول لا سبيل للعقل أن يجزم به بدون النبوة بخلاف الثاني فالعقل وحده
 ناف لمعرفته ومعرفة صفاته كما بيناه آناه إذا افترض الاكبر من النبوة حمل الناس
 هلى الايمان بذلك اليوم وإصلاح حالهم الدينية والدينية إصلاحا لا يصلون إليه بأنفسهم
 ولو بعد مئات من السنين إن لم نقل آلاف منها . هذا ولما كان محمد عليه السلام المثال
 الاكبر للانبيا . وتاريخه أقرب عهداً وأصح سنداً وأيت أن أتكلم على حياته بما يقتضيه
 المقام ، ايضاحاً لما أجمت نيامر من الكلام ، وهذا ينلزم ذكر أحوال العالم في ذلك
 الوقت ثم أحواله عليه السلام ومآتى به من الإصلاح في الارض ولذا ابداً الآن بوصف
 حالة العالم في عصره فأقول

كثرت المشاغبات في الدين ، وطمس نور الحق بين العالمين ، تشعبت الآراء ،
 وتمددت الأهواء ، وعبد كل ما شاء الشيطان من الأباطيل . عم السجود للاوثان ، وعبدت
 الصور والصلبان ، واعتقد الناس الالهية في التماثيل ، خاط الخلق في شأن اللاهوت ،
 وتوهوا ظهوره في اناسوت ، فتخذ البشر آلهة من دوز واجب الوجود ، سهل على الناس
 اعتقاد الساطة في بعض الافراد ، وظنوا ان يدهم الاشقاء والاسعاد ، فهابوا مقامهم ،
 واعلموا شأنهم ، نطقى اوثانك وجواء ، وانفروا ماشاءوا من الاحكام ، وقالوا لما تعف
 السنهم الكذب هذا حلال وهذا حرام ، أصبح الناس عبيداً ادلاء ، في جهالة عمياء ،

اشتغل الرؤساء بالمطامع الشخصية وتقاتلوا في الحصول على ثقاتهم البيعية، واخذوا الحويص من المسائل الدينية ذريعة للمشاجرات والمماحكات، فتعددت البدع وكثرت الفرق وظهرت مذاهب الأباحين والدهريين، انار كل رئيس من تحت يده من المرءوسين، واشهروا الحرب على الآخرين فأريقوا دماء المالمين،

هذا كان حال الامم في كل بقعة من الارض وفي بلاد العرب ادهى وامرعم الفساد وزاد العناد وزال العلم وحل الجهل وفسدت الاخلاق في سائر الآفاق ليس ما ذكره تحقيقات شمسية، ولا افكار وهمية، بل هي حقائق تاريخية، اتفق عليها اهل العلم، ولم يشذ عنهم ذوفهم،

ظهر في هذا الوسط الجاهل والظلام الخالك، الذي يضل فيه كل سالك، محمد العربي والنبي الامي، وانشأ فيما فقيرا لأب له يهذب ويريه ولا معلم يرشده ويهديه قد يزعم بعض المجادلين انه تمام القراءة والكتابة ليدفع بذلك ماسياتي على سمعه من قوة البرهان ولكنه وهم زليله بما يأتي من الدلائل الواضحة:

(١) إن الجمهور الاعظم من امته كان اميا لا يقرأ قليلا فاذا أضفنا إلى ذلك عمه و فقره واميته فلا نجد أي حامل يحمله على تعلم القراءة والكتابة إذ اولى له أن يسمى على عيشه من أن يصرف وقته في الحصول على شيء لا يعرفه الا القليل ممن جاوره

(٢) تمام القراءة والكتابة يحتاج إلى زمن ليس بقصير وخصوصاً في بلاد ليس فيها دور للمعلم ولا كتب ولا مدرسون فلو سمى في تعلمها لوجد مشقة عظيمة ولما أمكنه إخفاء أمره إذ لا بد أن يشاهده الناس ولو مرة واحدة مع أنه كان يجاهر بأميته على رؤوس الاشهاد ولم يوجد من يمارضه (وما كنت تتلون من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذ لا تراتب المبتلون)

(٣) لم يهد عنه أنه كان يماشي أحداً ممن اشتهر بمعرفة القراءة والكتابة قبل نبوته

(٤) لو كان أحدهم من الناس يعلمه لا اضطر النبي الى تقديمه على أصحابه ولا يظهر له احتراماً زائداً ولفان العلم بذلك لبعض الناس مع انه لم يحصل شيء من ذلك مطلقاً

(٥) لم يشاهد أنه في منزله أو خارجه قبل النبوة أو بعدها كان يستعمل قرطاساً

أو قلماً في تأليف شيء ما أو تدوينه فلو فرضنا أنه لم يشاهده وهو يتعلم فيجد جداً أن

لا يشاهد وهو يستعمل القراءة والكتابة في شؤونه الخاصة.

(٦) لو كان ابتداءً بتعلم القراءة والكتابة لأقصد دعوى النبوة لانه لا يظهر اقتضاره بذلك وجاهر به ولو كان لقصد دعوى النبوة فمن البعيد جداً أن يدبر حيلة كهذه وخصوصاً إذا أضفناها الى غيرها مما يسميه أعدؤه حيلة فأنها تقيب عن أذهان الفلاسفة والسياسيين لانهم اذا دبروا عدة حيل يظهر أمرهم ولو في إحداها على عمر الازمان فكيف يتأتى لواحد مثل محمّد في أول نشأته أن يدبر كل ذلك بنفسه ويكتمه حتى يصير كهالاً ولا يقتضح أمره مرة واحدة إن ذلك ليهتان عظيم

والخلاصة أن حاله ووسطه الذي تربى فيه كان اليتيم والفقير والجاهل والامية، والاوهام والاضلال والوثنية، وقد احتاط به فساد الاخلاق من جميع الجهات، والتف حوله عشيرة الفارقة في بحر من الحرافات والقرهات، فكيف كان تأثير ذلك في نفسه؟؟ لم يكن له ذلك التأثير المهود بل نشأ منشأ يخالف ما عليه أهله وقومه. بنضت اليه الوثنية في مبدأ عمره. فلم يعرف عنه أنه سجد لغيره قط. أو احتفل بعبود مع أهله. كانوا يشربون حوله الخمر، وينغمسون في الشهوات والفجور، وهو بعيد عنهم منكر عليهم، كانوا يشتمون بالثافه من الامور ويثرون الحروب والمسائل واهية ولم يكن هو منهم، كانوا يقدرون ويقعدون، ويتقانون ويقتلون، القصيد أو بيت شعر وهو لا ينجفل بذلك ولا يجاربه عليه. ماذا كانت حاله اذا؟؟ لجرو الاستقامة دأبه، والصدق، الامانة طبعه، حتى عرف بين أهل مكة بالامين وهو في ريمان شبابه. يهزمك الشبان عادة في الشهوات ولو كانوا معلمين مهذبين ولكنه هو يتزوج العوان ويبقى معها الى ما بعد الاربعين حتى حين وفاتها ولا ينظر الى سواها ويبيس معها بكل طهارة وعفة فلم يسمح عنه أنه ارتكب منكراً في زمن شبابه أو خلق بجب فناة أو مال الى عشقتها مع أن قومه كانوا غارقين في هذه البحار وقصائدهم تشهد بذلك. ماذا كان شأنه اذا؟؟ كان شأنه زعمي الاغنام ثم التجارة ثم التباعد في الخلاء والتحدث بمناجاة الله تعالى

قام عند بلوغه الاربعين بدعوى الخلق الى عبادة الحق وقرر ان للعالم اإله واحداً ويتأسس كل ما ينسبونه اليه عمالاً يليق به. وبذلك الحجج الاثبات امر الناس باستعمال الفكر والعقل في كل شيء ونهى عن التقليد وخص على النظر في الموجودات. اطلق للناس الحرية الصحیحة

وحرم عليهم الخضوع لرئيس في الدين أو لأي أحد سوى رب العالمين ومنعهم من الالتجاء إلا إليه مباشرة وأمرهم بالاستعانة به وحده اعطى الروح والبدن ما يطلبانه بشرط ان لا يضرهم. اولم يبحث على المباشرة في الزهد ولا الرهبانية بل أمر بالصحي والتمهل وتصريف الاعضاء فيما خلقت لاجله مع مراعاة ان لا يضر ذلك بالمرء او يغيره. أباح الطبيات وحرم الخبائث. وأمر بالعدل والمساواة ومسالمة المخالفين في الدين ومعاملتهم باق هي احسن والتوفيق بيننا وبينهم ونهى عن الاكراه في الدين واوجب تأمين الراغبين في النظر فيه ولو وقت الحرب (وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم بلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) الى غير ذلك مما لم تهتد اليه الناس في الغرب الا بعد ان وصل اليهم شعاع من نور الاسلام في الشرق. فارجع البصر الى تاريخ اور ويا قبل الاصلاح الديني بلوثر وقبل الاصلاح السياسي بالثورة الفرنسية تعرف ما كانوا عليه اتى مع ذلك بجميع الاخلاق الفاضلة المستدلة والمبادئ الصالحة والمعاملات الكاملة والمبادئ السليمة والسياسات القوية وغيرها مما كان السبب في اصلاح امر الانسان وتحريره من العبودية واتق: فالعقل من الاسر وردده الى مملكته ليحكم فيها بالقسط فنهض الشرق نهضة سرية عالية لم يهد لها مثل في التاريخ ثم امتدت الى الغرب

فهذه هي آثار ذلك الأمي وهذه هي اعماله فماذا يجب الضالون ؟

زعم بعضهم بمد أن سلم بأميته أنه لا بد أن يكون تاتي ما أتى به من أحد الناس بالضافه فتعجب بأن ذلك التلقي الموهوم إما أن يكون حصل قبل النبوة أو بعدها فان كان قبل النبوة فاما ان يكون حصل ذلك في بلاده أو في غيرها أما في غيرها فهو لم يسافر إلا إلى بلاد الشام وذلك مرتين الاولى مع عمه أبي طالب قبل بلوغه وشده والثانية في سن الخامسة والعشرين مع غلام خديجة وفي كليهما لم يكن منفرداً ولم يشاهده أحد من التجار المسافرين من ياتي العلم عن أحد ولم يجب عن قومه إلا مدة التجارة والا لو غاب عنهم بضع سنين لقالوا له املك تعلمت هذا مدة غيابك هنا وهم لم يفوروا بمثل هذا مع أنهم كانوا يحاولون أن يلبصقوا به هذه الشبهة وهي التلمذ من الناس وأيضاً فأي حامل يحمل هذا الفخر الذي نشأ هذا المنشأ الذي بناه ولم يوجد من ينهه ويرشده ففكره لتفضيلة العلم حتى يترك ما يقتات به وهو في تلك البلاد

الأجنبية وما به إرضاء خديجة التي بعته إليهم سوي يجهد نفسه في البحث عن عالم ليس من أمته ولم يكن على عقائدهم ويرضخ له حتى يبعث في قلبه كل هذه التعليمات ويسلم له فيما يخالف معتقد آباءه وأجداده . وان زعم انه حصل ذلك في بلاده فهو غير ممكن لاسباب :

(١) انه كان يشاهد يفعل ذلك ولو مرة واحدة

(٢) ان المعلم له إما انه كان من الوثنيين وهذا لا يمكن أن يعلمه ما في التوراة والانجيل وغيرهما من عقائد الموحدين واما انه كان من اليهود وهذا لا يمكن أن يعلمه أخبار المسيح وأمه والأقرار لهما بالفضل والنزاهة واما انه كان من النصارى وهذا لا يهامة أن ينكر لاهوت المسيح ولا التثليث ولا الصلب ولأن يرمي النصارى بالتحريف في كتبهم ولا غير ذلك مما يوجد في القرآن من الانكار عليهم واما انه كان من المبتدعين ومثل هذا أولى أن يشهر بين الناس بنفسه أو تعرف له علاقة في التاريخ بمحمد عليه السلام تؤهله أن يتعلم منه

(٣) أي حامل يحمل هذا المعلم على اجتهاد نفسه وصرف وقته في تعليم هذا الغريب الأمي ولم لم يدع الناس الى هذه الاشياء بنفسه او يخار احداً ممن اشتهر بشعر او بخطابة أو نبي من العالم أو كان له جاه أو أعوان أو مال أو غير ذلك مما يكسب المهابة في قلوب الناس

(٤) انه من الصعب جداً ان يقدر احد من الناس ان يهذب هذا الأمي كل هذا التذيب وان يخرج من عقائد آباءه واجداده ويدخل في ذهنه مسائل النبوة والوحي والتزبه والتوحيد ويجمعه يعتقد ذلك اعتقاداً يقينياً الا اذا كان هذا المعلم مقتدرراً طاماً حكماً ومثل هذا لم يعرف له ذكر في بلاد العرب ولا فيما جاورها فكيف لم يشهر بانعام والفضل وأي مؤرخ لذلك المهذب ذكر كلمة عن أحد مثل هذا متمسكاً بما يوجد في القرآن من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والمبادئ وغيرها

(٥) لم لم يسر هذا المعلم الى احدا بأنه يعلم محمداً ويهذبه وما الذي حمله على اخفاء هذه المسألة وكنهها هذا الكتمان المطلق

(٦) لم لم يشاهد محمداً يحترم أحداً قبل نبوته أكثر من غيره أو يلوذ به

ويلازمه كما هو شأن التلميذ مع معلمه

(٧) أي شيء أُلزمه الصبر أربعين سنة ولم يجمله يسارع إلى دعوى النبوة ولم لم يبادر إلى سرد القصص التي تعلمها مرة واحدة، وكذلك الأحكام والعقائد وغيرها خوفاً من الذهاب من الذاكرة والنسيان وهو الأمر الذي لا يمكنه أن يستعمل مذكرة شيء مطلقاً خوفاً من أن يطالع عليها أحد وهي معه، شأن الذي يريد أن يدعي شيئاً مثل هذا أن يظهر عليه عدة محاولات تدل على ما تطويه سريرة ثم يجبراً فيزداد شيئاً فشيئاً لا أن يسكت أربعين سنة ثم يندفع بدعواه مرة واحدة بهزيمة واحدة قوتها في الأول كقوتها في الآخر

(٨) كيف أن هذه الحكمة لم تأخذ بلبه ومنشاعره فتجمله مشتغلاً بها طول السنة وكيف يتناساها إحدى عشر شهراً ويشتغل بها شهر رمضان فقط من كل سنة فيستمد فيه لما سيدعيه كما يزعمه اولو الأهواء في عزته السنوية، عادة المفترين أن تأخذ مثل هذه النيات بحواسهم وعقولهم حتى يظهر للناس أنهم دائماً في الشغال بال ولكن النبي ما كان يشغله شيء عن شيء، والآنك الفكر بدنه وصار سقيماً وكنت قواه العقلية من كثرة الحيل وتعدد الصعوبات التي كان يلاقها فتصنف عن أن تدبر كل ما كان يدبره لولا الإرشادات الإلهية والألهامات الربانية، وكيف علم أنه لن ينقضي أجله حتى يتم القرآن في آخر سنة من حياته ويؤمن على نفسه فيأتي به نجوماً نجوماً

وان كان اتعلم حصل بعد ظهوره بالنبوة

(٩) فكيف ابتداء دعواه على جهله وأي منه قام بفكره حتى حمله على ذلك وكيف

ضمن أنه يجد من يعلمه

(٢) لم يشاهد مرة يلجأ إلى أحد الناس ليعلم منه

(٣) لم لم يقدم هذا الملهم ويفضله على أصحابه أو يوصي له بأخلافه ولم بقي معلمه

صريحاً له ولم يكن رئيساً عليه (راجع أيضاً لوجه السابقة)

(٤) لم لم يوجد بين أصحابه من كان يأنف من أن يتلقى العام عنه ويخضع لأميره وينتهي

بنيته فأين كان هذا الملهم حتى ساوى نفسه بأصحابه، هذا ولم يعرف أحد بينهم محاراً يعلم

سوى ما أخذته بأقرارهم جميعاً عن كتاب الله وحديث رسوله فإن كان هذا المصنف موجوداً في عصر النبوة فلم لم يشتهر قبل دعوى محمد بالام والفسفة ولم أخفى نفسه حتى ادعى محمد النبوة ولم لم يظلم بين العرب حتى تجبه وتخرمه احترامها لمحمد وأي شيء استفاده حتى يكتم كل هذا فيالله من التمهيب الذي يهمني ويهم

علمت مما تقدم أنه كان أمياً وأنه لم يتاق العلم عن أحدثشفاهاً فكيف أتى بمأني وكيف هل ما عمل؟؟ شيء آخر في تاريخه وهو أنه لم يجاز العرب في الاشتغال بالعلم أو التمر أو الخطابة أو غير ذلك مما كانت تتفنى فيه العرب ولم يشتهر بينهم بشيء من ذلك مطلقاً ولم ينقل عنه أنه قال كلاماً في منتهى البلاغة قبل نبوته وكان قليل العناية بمجتمعاتهم واقتضاهم بنهرهم ونظمهم فكيف أتى بهذه البلاغة الحارقة للعادة؟ وكيف أتى بهذا الأسلوب المعجز واخترعه؟ وكيف لم يوجد فرق في البلاغة بين أول ما نزل من القرآن وآخره مع أن العادة أن الانسان يسدح في الشيء فيكون آخر ما أتى به أحسن مما ابتداء بإنشائه وكيف يكون الكل جزءاً مع أن المتبادر من البناء أن يكون بهن كلامهم في منتهى البلاغة والبعض الآخر ليس كذلك. كيف لم تجرد العرب إجماراً في كلامه الذي ينسبه لنفسه قبل النبوة أو بعدها مع أنه لم يظهر عليه شيء يدل على عناية بإنشائه أحدها دون الآخر بل كثيراً ما كان يقول أحدها في عين الظروف التي يقول فيها الآخر بدون تكلف أو تحوير فيما يليق من أول وهلة. كيف أمكنه الجزم بأن جميع الناس لن تقدر على الاتيان بكلام مثل القرآن منفردين ومجتهدين ويخبر بذلك قبل وقوعه ويصدق خبره (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) الآية وغيرهاتها هذه الحجج للماجحات وما هذه البراهين المنفحمت؟

قام بالدعوة الى الله وحده ولا حول له ولا قوة والناس حوالية. أجه ما ألفوا أعداء لمدعوا اليه. فدفع آراءهم. ونكس أصنامهم. ولاقى بسبب ذلك دنهم مالاقي مما يشبط المم ويذهب بالزائم لولا تشبه في امره وجزمه بالظفر والنجاح. نجاهن جميع الشرك التي كانت تصب له في الحروب وغيرها وسام من الدسائس التي كانت تعمل له والترصبات لقتله غيلة التي كانت تمقد عليه ووعد اعجابته بالنصر والفتح والتمكين في الارض والحلافة فوقع كل ذلك لهم وصدق في جميع ما أخبر به من المفيات. تحققت نبوته ووضح اخباره باتصار الروم على الفرس في السورة المعروفة مع انهم كانوا في حالة

لا يوجي معها نصر لشدة ضعفهم وقوة عدوهم وهو لم يكن من السياسيين ولا النظميين على مواقع البلاد واحوال الامم وتاريخها فكيف يأتي له الحكم بشيء مثل هذا ويعرض نفسه للتكذيب والخذلان مع ان المسألة ليست مما يثير حتى بيت الحكم فيها فلو لا ثقته بالوحي لما تجرأ على القول بأنهم سيقبلون في بضع سنين وعرض نفسه للسخرية والتكذيب وهو احرص الناس على عدم افتضاح امره كما يقول اعداؤه (وإذا صحت قراءة من قرأ سيفلون بالنساء لجهول أي إن المسلمين تغلبهم فيها أيضاً الاخبار بمقرب لو لم يقع لظهور كذبه) اجتمعت عليه العرب مرة احزاباً واتحدوا على محو ذكره من الوجود انتقاماً فارسل الله عليهم ريحاً وألقى في قلوبهم الرعب من غير سبب ففروا انهزاهماً وكفى الله المؤمنين القتال . فما كل هذه المصادقات انصح ما يقول الواهون الذين يتمسكون بهذه التاويلات الفارغة ويتمسكون بالتأويلات الباردة . سمعت من بعضهم بعد ان ادهشه الدليل بان النبي لم يعلم من واحد مخصوص قولاً يريد به تكبير نفسه وتهديته خاطره وهو انما كان يسميه النبي ممن حوله من الناس في مسائل الدين سهل عليه الاتيان بما أتى به وانه كان يتصيد معلوماته ممن جاوزه من النصارى واليهود باستراق السمع منهم فاقول له مهلا ايها المسجب بتفسيراته الضرورية بتعليقاته واستمع اساساً لو عليك وانت شهيد، ولا تكن ممن عن الحق بحيد؟

انه لم يكن في مكة من أهل الكتاب الا أشخاص يمدون على أصابع اليد الواحدة وكانوا من أجهل الناس وأحطهم مقاماً في الهيئة الاجتماعية وكانوا يحترقون بدني الحرف تخدمه بعض العرب او التجار في بعض اشياء حقيرة . وقد نزل في مكة من القرآن ما كان محمد في أشد الحاجة الى من يلقيه إياه فهل يسلم العقل ان هام محمد مستفاد من هؤلاء الأشخاص

هب انه كان يتصيد المسائل من نصارى العرب ويهودها فكيف أن من الوقوع في خرافاتهم التي يجزم العقل بطلانها كقصة شمشون وما يتعلق بقوته وشعره ونحو ذلك من الاوهام التي كانت ولا تزال منتشرة بين النصارى واليهود الى اليوم . لم تنزه كلامه عن اضاليه في المسألة اللاهوتية كما تقدم في المسيح والصلب والتناهي ومصارعة الله بعض الانبياء وظهوره بمظهر شخص لم يترو فيها فعله قدم به ذلك

على ما وقع منه كأنه لم يكن يعرف عواقب الامور. اليس من اليهود ان الانسان يقع في بعض غلطات من كان يجمل كلامهم مقلدهم فيما يتقد انه صواب فلماذا لم يقع محمد في خطأ واحد من خطاهم

كيف سلم كلامه من الغلطات في المسائل العلمية التي كانت منتشرة بينهم في ذلك الوقت كما اعتقادهم ان الشمس وقنت لفلان او رجعت بعض درجات وان الحياة لا تأكل إلا التراب مع انها لا تأكل التراب وكالا وهام في شأن جنة عدن وما ذكر معها من الاتهار مما لا يصدق به الا الجبهة من اهل التخريف الى غير ذلك مما كان دائماً بينهم ولا يزال الى الآن . هل يعرف الامي الذي نشأ في وسط الجهل وفي زمن الجهل ما صحح من المسائل وما فسد منها حتى انه لا يقع في كلامه الا الصحيح مع أن انتشار الخرافات والاقوال الفاسدة كان بحيث اذا كلف فيلسوف باتقاده واختيار صحيحها لوقع في الوهم والحكم على بعض الصحيح بأنه باطل وعلى كثير من الباطل بأنه صحيح وخصوصاً في ذلك الزمن وفي تلك البلاد العريضة التي كان فيها العاصم عبارة عن مجموع خرافات لهجائز اختلطت بشيء لا يخلو من الصحة من بعض الوجوه فبالك بمحمد الامي والرجل العامي .

ايتصور ان هذا الرجل الذي تان يعتقد في اهل الكتاب انهم غاشون ما كرون يحرفون الكلام عن مواضعه ويفترون على الله الكذب ويكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ايتصور منه وهو يعرف كل هذا عنهم ان يثق بأقوال يسمعونها من افواه الجبهة منهم ويزعم به ذلك انها من عند الله مع انه ما كان يثق بقول اعظام عالم من علماءهم بل كان يرميهم بأنهم لا يفهمون حقائق ما عندهم من الكتاب وأنهم يخلقون اشياء كثيرة لتضليل عامتهم وغشهم . فكيف يعول النبي الذي لا ينكر أحد رجحان عقله على قولهم مع انه شرح للناس بكرهم وكذبهم، وكيف لا يخاف ان يكذبوا عليه ويفروه ويوتوه في الخطأ الذي لا يمتنه التخلص منه . وكيف يسلم لاحد منهم ما يقوله في دينه مع انه يجوز ان يكون مخطئاً ولا أثر لما يقول في الدين لما شاهد ذلك كثيراً في المسلمين وغشهم فكم من غلط وقع فيه الكتاب الغربيون أثناء كلامهم عن الاسلام وعن عقائدهم بسبب ما يسمعونه من حملة المسلمين .

هل يمكن للعالمي الأثمي إذا سمع خليطاً من قصص بني إسرائيل من أفواه آحاد الناس في مجالسهم مشوهة ومزوجة بكثير من الحرافات كإهوشان المامدة في أحاديثهم غير مرتبة على حسب وقوعها وغير مفصلة تفصيلاً يزيل ما أشبه على الأفهام بحيث لا يدري صحيحها من كذبها ان يفهم منها حقيقة تاريخهم وعقائدهم ودعوى انبيائهم ويأتي بعد ذلك بتفاصيل أهم حوادثهم وذكر أعظم رجالهم وما حدث لهم ويشير إلى ترتيب أزمنتها وإلى بعض البلاد التي وقعت فيها وإلى مواقعها الجغرافية كأن يوميء إلى موقع البحر الأحمر بالنسبة إلى مصر بقوله (فأتبعوهم مشرقين) ويأتي على القصص الطويلة كقصة يوسف وموسى وإبراهيم ولوط وغيرهم ويعرف نسبة كل منهم إلى الآخر ويرتبها على حسب ترتيبها الطبيعي من غير تقديم أو تأخير في حوادثها أو يخلط فيها مع أن هذا التاريخ اجنبي عنه وعن قومه ولم يدرسه دراسة تمكنه من ان يكتب إحدى حوادثه الكبيرة تصور حالة عالمي من عامة المصريين اذا سمع أقوالاً متفرقة منسجمة من أفواه بعض جهلة الأوربيين عن تاريخهم فهل يمكن هذا العالمي ان يأتينا بشيء عظيم صحيح من تاريخهم مثل ما أتى به القرآن ويسرد علينا آراءهم ومبادئهم ومعتقداتهم ويذكر أهم رجالهم ونسبتهم وتاريخ حياتهم وما أتوا به من الإصلاح في بلادهم وينبه على وجوه العبث في كل ما يقص علينا وعلى ارتباط الحوادث بعضها ببعض ولا يذكر إلا الصحيح منها ويترك الأباطيل التي ألحقها الأوهام بها - قل لي بأبيك هل هذا ممكن ؟ يزعم البعض أن في القرآن خطأ في هذه المسائل ويأتوننا بأشياء تهد على أصابع اليد الواحدة ويؤمنون أنها غلط من غير اعتماد على دليل صحيح يمتد به - فلو كان مصدر القرآن كما يقولون هل كنا نجد فيه هذه الغلطات القليلة (على زعمهم) فقط غير الثابتة أم كنا نجد كل عهيفة ممثلة بالأوهام والحرافات والخلط في المسائل والخلط من غير اهتمام إلى صحيحها وذلك من غير كثير عناء وتعب بل بمجرد مطالعتها كان يضحكنا ويجعلنا نمزأ بها وتتهجب من زهاتها وخصوصاً في زماننا هذا الذي صار فيه تلامذة مكاتبنا يضحكون من أفكار بعض فلاسفة من سبقنا ويفككون بذكرها ولا يحتاج إلى البحث والتقيب وصرف الوقت في الحصول على هفوة قل أن نجد ما في القرآن وإذا وجدناها فأنها لا تثبت أن تزول بعد التروي والتأمل والتعمق في البحث - فهل

هذا هو ما نتظره في قول العاصي المصري الذي ضربناه كمثلًا أم كنا نستلقي على قفانا من الضحك عند سماع بضعة أسطر من كلامه في المسائل الطبيعية والتاريخية والعمرانية والاخلاقية واللاهوتية والشرائع المدنية والمبادئ الدينية إذا حاول أن يبي لنا شيئاً من ذلك. استحضر الآن في فكرك ما أتى به القرآن. أليست الشريعة الإسلامية تضارع أعظم الشرائع كالرومانية وغيرها. أليست الاخلاق المحمدية أكمل الاخلاق لتقويم النفوس مع خلوها من الضغف وما يوجب المسكنة وإذلال النفس وغير ذلك مما ورد في غيرها من التفريط أو الإفراط. أليست قصص القرآن عبرة لمن اعتبر مع بعدها عن سفساف الامور والافو الذي لا فائدة فيه (قارنها ببعض أسفار العهد القديم مثلاً كسفري الملوك واخبار الايام) أليس من المبادئ الإسلامية ما لم تهتم الناس إليه الا في العصر الحاضر

(لها بقية)

محمد توفيق صدقي حكيم بسجن طره

باب التربية بالتأثيرات الطبيعية

مذكرات من يومية الدكتور أرامس (*)

(التربية بالتأثيرات الطبيعية)

يوم ١٤ أغسطس سنة ١٨٦٦

صادقنا غداة اليوم على مقربة من ليا زنجيا آتيا اليها ليمس رزقه من عرض حيوان يسمى البوما وهو الممثل للاسد في أمريكا كانت قبيلة من المتوحشين اصطادته حيا وكان ربه وهو شبه مشموذ يؤمل أن ينال بعض النقود من عرضه على النظار كان هذا الرجل على شدة فاقته وعجزه عن القيام بذقته نفسه مصحوباً بصديقه زنجية عليها طمر أزرق رأيت في مشيتها قولاً فسألها بالاسبانية التي لأحسنها عما أصابها فعملها تخرج كما رأيت فكان جوابها أن اوتني إحدى ساقها فإذا جرح دامت ورأيت قدمها قدورمتا وربما مفرطاً ولما أمعت النظر في ساقها الجروحة عثرت على طرف شوكة

(٥) مرعب من باب تربية الياقن من كتاب اميل القرن التاسع عشر

خليلة في سمك لحمها وهي التي تسبب عنها الجرح قطعاً ثم خبث بما اعتوره من المشي والوصب
ولادغ الحشرات فان هذين المسافرين كانا آيبين من مسافة بعيدة جدا

مازلت بهذه الشوكه حتى نجحت في سلبها ثم ضمنت أجزاء الجرح بعضها الى بعض
ولم ألم أجد خرقه أعصبه بها ناولتي «لولا» نديها ولم تقتصر على ذلك بل دعيتها رحمتها
بهذه الفتاة الى خلع نعلها ووضع قدمها المرصوختين فيهما فلائتها أشد الملائمة كأنما
صنعتا لهذه المسكنة فأعربت «لولا» عن شكرها ثم غادرناهما ومضينا في سبيلنا

انبتت «لولا» الى عمائها هذا باعث من بواعث الخير القلبية الا انها ما لبثت ان أدركت
صعوبة الاحتفاء في أرض صابة خشنة كارض اليروقان طرقاً المشابهة بينها وبين مخاريف
البياتين الكبرى في انكسرتا

انثاء «إميل» أو لا يسخر من حيرة صديقتي في مسيرها حافية ولكنه لتأثره من صنيعها
دبت فيه التخوة فاحتملها على ظهره فقبلت ذلك مبتسمة

ان الباقي من طريقنا لم يكن طويلاً جداً ومع ذلك وقف «إميل» في أثناء الاستراحة
صرتين أو ثلاثاً متباً في ذلك نصيحتي وفي آخر وقعة منها بصرنا من بعيد بالمشهوذ يقود
اليوما وعرفت «لولا» الصبية الزنحية وقد خلعت النملين وحماتها في يدها فما كان أشد
غمها لهذا المرأى انظر كيف بخستها منحتها وكيف استعملتها

فسررت عنها ما خسر قلبها من الكدر بأن قات لها ان العادة طبعان وان هذه
الصبية لا بد أن تكون تعبت من الاتمال لا عتيادها الاحتفاء على ان نية اسداء المعروف
محمودة على كل حال ولو أخطأ صاحبها فيما يتخذ من الوسائل لا يصل النفع
والذي رأته خير من هذه العظة كلها هو ان ما وجدته قلبها الطاهر من السرور
ياحتمال «إميل» اياها قدر لها فيما أرى على ان الانسان لا يخسر شيئاً مما يصديه من
المعروف اه

يوم ٢٨ أغسطس سنة ١٨٦٠

زرنا بعض أجزاء من جبال النوردبير ولم يكن سقى «إميل» أن شاهد مثل هذه
الجبال التي يصح أن تسمى بالآلب (١)؛ لا سريكية فراع كل الروع ما لهذا الخلق لها نال

(١) جبال الآلب هي سلسلة جبال عظيمة في أوروبا

www.alukah.net من مظاهر الفخامة والعظم مع اتالم تبلغ منها إلا أدنى شأنها
لا بد لي أن ألاحظ هنا أن القدماء كانوا قديلي التأثير بما للعجبال الشاححة من المحاسن

الرائمة فانالم نر لشراء اللاتين من الكلام فيها إلا النذر اليسير ومعظم ما قالوه استهجان
واحتقار وقد يحدو بي ذلك الى القول بأنه كان يلزم ان يدهمهم من الكوارث المحزنة
ما تهتز له نفوسهم وأن تستضيء بصائرهم بنور العلم ويتمكن منها الاستعداد للبحث
والنقيب الذي هو من مزيا العصور الحديثة ولو تم لهم هذا لادر كوا أن في سيارنا الذي
يميش على ظهره من المنظر الهائلة البديمة ما يدعو الى الاعجاب الحقيقي اه

يوم ٢ سبتمبر سنة ١٨٦

كسبت «لولا» دعواها وان شئت قلت خسرتها فكلا القوانين صحيح باعتبار جهة النظر
اضطررنا لامصالحة في هذه القضية الكثيرة الارتباك لما يقتضيه الفصل فيها من
الاتظار أشهراً بل سنين فعرض على الخصم أن يعطوا لبنت السفان مقداراً زهيداً
من النقود وبعض ما كان لوالدها من الارضين والارض هاهنا لا قيمة لها اليوم أصلاً
مالم يستقلها صاحبها بنفسه أو بواسطة وكيل له يقيم في هذه البلاد

فأما أنا وهيلانة فهاجبتنا لقيم في «لولا» بل قد اتت مهمتنا ولم يبق إلا السفر لاسيما في
تلقيت مكتوباً من الدكتور وارنجتون بدعوني الى لوندرة لامور نافذة لي بينها فيه

وأما قوبيدون وجورجيا فانهما خيران بفن الزراعة خصوصاً زراعة الاقطار
الحارة ويسان من ذوي العقول الضعيفة وأمانتهما تقوّم بكل ما في بلاد البيرو من الذهب
ولأرى ما يمنع من الهدد اليهما بزراعة أطميان «لولا»

وانه ليشق عليّ مفارقة هذين الشهمين غيراني أرى أن أقوم انكلترا لم يخاق لثلهما
من الزوج وأما اقليم جنوب امريكا فانه يؤذن بأن سيكون لهما فيه بتوالي الايام مناخ
جميل ووطن سعيد اه

رجعت السفينة التي كانت حملتنا من لوندرة الى قلاو منذ ثلاثة أسابيع ويسلم الله
متى يكون مجيئها ولهذا رأينا بدلا من اجتياز رأس القرن أن نركب هذه المرة في سفينة
تجارية على نهر الامازون (١) تسير بنا والشاطيء حتى نأتج سواحل البرازيل حيث نجد

(١) المعروف ان الامازون أكبر انهار الدنيا ولعل المؤلف يريد بقوله نهر أحده

فروعه القريبة من ليا

سفينة تكون مسافرة الى انكلترا فان هذه الطريق أقصر من الاولى بمسير عشرين يوماً
توي «لولا» أن تعود معنا لان بلادها ثقلة ما عرفته منها لم تبث في نفسها شيئاً
من الرغبة في توطنها ولانها تعلم فوق ذلك اننا نجها
ماندمت على هذا السفر بحال «فاميل» قدمضى وقته هنا في الالتفات الى الصلم
والامان في مسائله فهو يهود الى بلاده الآن ناقلها اليها مجاميع في علم التاريخ الطبيعي
بل حاملها هو خير له منها - ضروب الاتفعال الكثيرة بما رأى وصفوف الذكر لما وصى
وقد تربي طبعه في مدرسة الاختبار والحياة التي لا يربي الرجال غيرهاه
نماني لأعني بهذا القول أن أزم جميع من هم في سنه من المراهقين أن يتعدوا
عن أوطانهم بقدر ابعاده ولكن رأيت الذي لأحول عنه هو انهم لو خرجوا قليلا من
أصدانهم ورأوا الكون في الكون قبل أن يروه في الكتب لضموا من ذلك أكثر
عما يتوهم . اه

الكتاب الرابع في تربية الشاب

المكتوب الاول من «إميل» الى والده

وصف مبعثته - نادي الطلبة الالمانيين ومحاوراتهم - تهاقهم على خدمة الحكومة
تفكر «إميل» في أمره - تأله من عدم فهمه اللغة الالمانية - ذكره «لولا» -
استيعاشة من غربته

برلين في ٨ يناير سنة - ١٨٦

اتنظمت في سلك المدرسة الجامعة بعد امتحان كان لابد من تأديته وصرت ادعى
منذ أسبوع بالسيد الشاب

من المفروض على أن أكشفك بشيء من تفاصيل مبعثتي وأنا طالب :امانهاري
فأصرفه في تلقي دروس الحكمة والتاريخ والقوانين وعلم تركيب الحيوان والنبات
ومنافع أعضائها والمقارنة بين اللغات وغير ذلك وأما ليلى فاقضيه في مسكن استأجرته
سنة أشهر نحو مائة وخمسين فرنكا واما طعامي فأتناوله في مطعم على مائدة جامعة
في مقابل أربعة وعشرين صولدياً (١) وبمد المشاء تارة آوي الى حجرتي وطوراً

(١) الصولدي جزء من عشرين جزءاً من الفرنك فقيمة طعامه هي فرنك وربع

أنتزّه في المدينة ولكوني أجنبياً لما أطلع علي أسرار طائفة الشبان كلها على ان أحدهم قد أخذني معه ذات ليلة الى مدخن (مكان لتدخين التبغ) يجتمع فيه بعض الطلبة الالمانيين فما فتح بابي حتى رأيتني تائها منموراً بسحاب مر كوم من الدخان حال بيني وبين رؤية جدران المكان وسقفه بل رؤية السكان برمتهم وكان يخيل اليّ أنه يمتد الي غير نهاية وكنت اسمع اصواتاً واغاني وقهقهات ولا ابصر شيئاً من الصور الحية وأرى أضواء حمراء تبدو في بعض جهات هذا المكان ينشأها ذلك السحاب كأنما تسبح منه في بحر لحي وكنت أمشي كخابط ليل وراء الدليل وعلى مقربة منه بين صفيين من المواثد خيل اليّ انها تهوم في الضباب ورأيت عليها رؤية غير مستبينة آنية من القصدير كان لمانها الممدني يجهد في صدع حجاب الظلام الدخاني المنسدل على القاعة كلها ثم لحت من خلال هذه الآنية وجوها آدمية لان بصري كان يتدرج في اعتياد هذا الجور الغريب والانس به ولم يكشف عني الحجاب كشفاً تاماً الا عند ما بلغت نهاية القاعة حيث اقيم مصطلى عظيم فرأيتني في جمع حافل من الشبان على رؤسهم القلنسوات وفي أيديهم أكواب الجمرة وبين هذا التشويش واللغط عثرت على حلاق من الطلبة قامت بينهم مناظرات في مسائل مهمة ولم تمقهم عن مداومة الشرب والتدخين ان أذني لم تتدسماع الاصوات الالمانية اعتياداً يكفي لتأهبة مجرى الحديث ونهجه ومع ذلك قد فهمت من فحوى ما سمعته أنهم يتناظرون في مقاصد ووسائل بعضها اسمى من بعض تتماق باصلاح أحوال البشر وكانت البراهين والتكث والمعاني تفيض من أفواههم كأنها سهام نارية تقذف بين أنفاس الدخان ولما أنصف الليل غادر القاعة جميع الطلبة ورأيت بعض من لاحظت فيهم الحمية والغيرة على مصالح الانسان منصرفين الى بيوتهم وقد جعلوا يقنون جهاراً في وسط الشارع أغاني مبتذلة ولم يسد عليهم حينئذ ما يدل على أنهم ذاكرون لما تعاهدوا عليه من اصطلاح شؤون الكون أخص غاية للطلبة من اختلافهم الى المدارس الجامعة هنا بحسب ما سمعت هي ان يلوا عملاً من أعمال الحكومة فكلمهم يؤمل ان يكون خداماً لها على تفاوت بينهم في ذلك فاذا حصل أحدهم على لقب دكتور مثلاً رأيتهم يتقدم اليها حاملاً شهادته واحياً ان توليه أحد الاعمال الحالية في ادارتها ومعظم هذا الاعمال لا يولي الا بالامتحان ولا يثابها الا من

يظهر أنهم أعلم من غيرهم وحينئذ يقولون الذين يخشون فيه على الأشتغال بالاهمال
للمستقلة ولا ادري اهذه الحالة وهي فرط الرغبة في تقلد المناصب العامة هي التي ينبغي
ان ينسب اليها التغير الذي يحصل في عقول شبان الدكارة عند خروجهم من الجامعة
ام له سبب آخر

فالواقع هو انه ليس بين اخلاق الطلبة واخلاق غيرهم من الالمانين ادنى مشابهة:
الطلبة يتظاهرون بالتفجع (١) والشذوذ والرغبة وبخيل الى من يرى غيرهم من الالمانين
انهم يمتثلون سكونة بل جوداً وبلادة والاولون مشهورون بليليل الى الثورة وبجب
الحكومة الجهورية وبعدم المبالاة بالخوض في اي بحث نظري وبالهجوم على جميع
المسائل سياسية كانت او دينية او قومية بما بدعش من جرأة الجنان وبقية الأمة
يظهر عليها التشدد في الاستمسك بالموائد القديمة وبالحكومة الملكية وترى الطلبة
يتباهون باحتقارهم جميع المميزات التي لامتنا لها لاتفاق النسب على حين ان واسط
الناس يجلون ألقاب الشرف اجلالاً لاحدله فترى الفريقين كامين متبايزين وليس
للطلبة في الحقيقة ارتباط بياقي الأمة الاورغتهم العظمى في أن يلوأهم بعدد مبارحة
الجامعة اعمالاً رسمية على ان هذا الارتباط كاف في عدم اكثرات الحكومة كثيراً بما
يدونه من حدة أفكارهم الحرة.

دعني سيرة هؤلاء الشبان الى التفكير في سيرتي فاني قد بانفت التاسعة عشرة من
عمرى ولا مقام لي بين الناس بل لم يقف بي الاختيار حتى الآن على صناعة نافعة اشغل
بها واذا أردتني على الاقرار لك بما أجده قلت اني أحياناً آتس من نفسي قدوراً في
الهمة وضعفاً في العزيمة وأسائلها عما أصاح له من الاعمال وأنا ضائق بذلك صدراً
نعم انك قد رأيت هي تقدماً سريعاً مناسباً لحالي في العلوم ودرس كتب المتقدمين
في أربع سنين أو خمس مضت وما ذلك ولا شك الامن الطريقة التي أهلتني بها أنت
ووالذي للعمل التالي وهي مراقبة الأمور والاسفار وما تنقته منك من الدروس
النافعة ولا شك ان لي ضمناً في العلم ولكفي اجهد فكري في استقصاء ما يوزني
من الخصائص فأونه آتوهم اني احس في نفسي بروح إلهي يقدرني على كل شيء

(١) التمتع افتخار الانسان بأكثر مما عنده

وساعات ينجل إلي اني قد فئت في عجزي وتجردت من حولي وقوتي وتارة تملكني الافكار وطوراً يستحوذ علي جدران الحاجة الي العمل والذي اراه يقيناً في لم اجدالي الآن استقامة واستقراراً فيما لتنسي من القوى ان صح ان يسمي بها الشاب مثلي من الشهوات القوية التي تدعوه الي السعي لادراك مقامه في هذه الدنيا لما بلغت ليا منذ شهرين كنت اعتقد اني على علم بالافنة الالمانية لما قرأته منها في الكتب فما ليث ان تبين لي خطأي في ذلك ومنشأ هذا الخطأ اني كنت احسن قراءة الصحف وعناوين الحوائث واسماء الشوارع وما على الجدر من الاعلانات فان الجدر هنا كما تمام تكلم بالالمانية فاذا جرت حولي المحاورات اصبحت اليها وما كنت أسمع الا اصواتاً لافقه شيئاً من معانيها فكت مطاق البصر اسير السمع لان من الامر المنصوي الحقيقي ان يبش الانسان بين قوم لا يفهم لفهم - كان الفلام الذي في الثالثة من عمره وهو في هذه السن لا يعرف من هذه الالفنة الا التامم بيمض الفاظها يعرف منها أكثر مما اعرف حق اني لما كنت احاول مخطبته كان ينفض الي رأسه استهزاء كماه يقول هالك عني اني لافقه لك قولاه

كنت بين اولئك القوم كالأصم الا بكم الذي فقد كل وسيلة التفاهم حق لفنة الاشارات فهل يمكن ان يتأعن الامواج الصوتية اذا اختلف انتقالها الي الاذن اختلافاً كبيراً باختلاف كيفية تحريك الشفتين مثل هذه الحوائث والحجب التي تبعد الناس بعضهم عن بعض

اشأت جداً من هذه المزلة فجاهدت جهاداً عظيماً في التجرد من الانكاس الذي اجده من حياثي الطبيعي وانشأت اليوم انطق بالالمانية نطقاً مفهوماً وانني لاعلم انه لا يزال يموزني تحصيل الدشير منها ولكن من هو في مثل سني قديبعدان لا يحصل في قليل من الزمن لفنة هو لايفك يسمع اصواتها من افواه جميع الناس في هذه البلاد واپس اصعب ما في هذه الالفنة التكلم بها فيما أرى بل هو فهم ما يسمع من التجاور بها بين اثنين من أهلها فقد كنت ذات مرة في الملعب وكان اتان من المثنان تجاوران فما استطعت في سرعة تجاورهما ان افهم كله منه اللهم الا ما كان من تحية الملهام وهي: «لينك سعيدة»

مثل اللغات الاجنبية ان لم اكن واحا كمثل دخان التبغ بالتادي الذي حذيتك
عنه في كونه كان يحجب عني بديء بدء رؤبة ما كان فيه من الاشياء والاشخاص فهي
حجاب سبزل على التعاقب وآمل ان يظهر لي النور عما قليل

ارجوك ان تتوب عني في تقبل لولاه واود لو ادري هل هي مواظبة على سقي
الازهار ونظام العناية بالطيور وتنديق مجاميع الاعشاب والدقائق وآمل منك ايهامها
بأن تذكرني كما اذكرها

إذا أنا كتبت ايك فقد كتبت الى والدي فانتا في قبي لا تفرقان ولهذا لا ازبدها
شيئا الا اسفي على حرماني من حجرتي الصغيرة اتى كنت أسمع منها حركة غدوكا
وروا حكا في البيت وعلى أنسي بقر كما عند اصطلاء النار ليلا فاني هنا في وحشة أي
وحشة . اختم لك هذا للكتوب في الساعة الحادية عشرة من الليل على ضوء
مصباح يملوه فاكس ضوئي يستطمنه نور ضارب الى الخضرة وفي احدى زوايا حجرتي
ساعة دقاقة من الصنف الذي يصوت كطائر الكوكو عند انقضاء كل ساعة ~~تكرر~~
تكتكتها اتى لا تقبر واسمع حبيس احتراق الحطب في التور وصرير الباب من
صفق الريح اياه وارى البدر من خارج الحجر شاحب الوجه برنو الي من خلال
ستارتين كبيرتين موشاتين بالاشجار والازهار ما بين يضاء وحرارة وقد أحسست
بأعيراق عني مع ان هذه الاشياء في ذاتها لا تدعو الى الحزن ولكن لآتاني فاني
مازات طفلا ولست آسى على بلادي وانما آسى على مفارقة مهدي فاني احببها وأرجو
من هذا الجهة على الاقل ان اعيش طول عمري طفلا

أنا وعالمنا

تاريخ الاستاذ الامام

ان التربية بناء بوضع على اساس القدوة ، ويرجع على قواعد الاسوة . فسير عظماء
الرجال ، أنعم مبدخر للاحيال ، وان الاميرة بدير المصيرين ، أقوى من العبرة بدير
انبارين ، لانظمة الناس عندما تصدق ان الاولين من عصر ازكي ، واستمداد أقوى ،

فلا يضرب مهمم المتأخر بسهم ، ولا يبدانهم في فضل او علم . - لذلك رأينا ان من انفع ما نخدم به الامة وضع تاريخ مطول للاستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد نوهنا بذلك فيما نشرناه من سيرته . ويزيد ان نقول هنا ان وريثة الفقيه واصدقائه وصريديه الذين نعرفهم هنا عون لنا على هذه الخدمة وزجروا من اخوانهم في الصداقة والوفاء من سائر الاقطار ان يتفضلوا علينا بما يرون من النصائح ، وما يعرفون عن الفقيه من الاعمال والمآثر ، مما يخفى مثله علينا . ويظن ان لا يكون وصل الينا ، كبعض الكتب والرسائل ، ومارأوا من الاعمال او سمعوا من المسائل ، ومن ارسل الينا شيئاً من خط الفقيه فالتنا فيه اليه على عهد الله ورسوله

ثم ان ما يرسل الينا من ان كان اثاره من علم او ادب فالتنا نشرها حتماً ونكافيها مرسلها بنسخة من التاريخ نهدبها اليه وان كان كتاباً خاصاً بمن كان ارسل اليه فالتنا لنشره الا اذا كان فيه فائدة عامة من حكمة تؤثر او بلاغة تؤثر على انما يخلو كلامه من كلانا اللذين مهمما كان الموضوع الذي كتب فيه . ولا شك ان الذين توجد عندهم هذه الآثار والخبار يحرصون مثنا على تدوينها واستفادة الناس منها في الاثاب فلا يخذلون علينا بما ينفع الامة ويحفظ اثر الامام ثم هذا الاستجداء سيصادف بنا لا وسما حان شاء الله تعالى واتنا نقدر ان التاريخ لا يقل عن الف صفحة وقبيل يزيد عليها وان نجزئته الى جزئين او ثلاثة اولى وربما نجعل له اشترائاً

وليعلم الشعراء الذين نظموا المراثي ونشروها في بعض الجرائد اننا لا ننشر منها الا ما نختار مما ارسلوه الينا او الى الشيخ عبد الكريم سلمان او هوووه بك عبده لاننا لم نتبع الجرائد ونحفظ ما فيها من القصائد وائس المانع من اثبات المرثية في التاريخ هو سبق نشرها في بعض الجرائد وإنما هو ما ذكرنا من عدم التبع والحفظ فمن شاء ان يرسل الينا شيئاً ما نشر فليقل

وكما نود لو بين لنا كل من ارسل او يرسل الينا شيئاً من كاتب وشاعر لقبه الذي يخاطب به ووظيفته التي يذكرها لندكره بما هو معروف به ان لم يكن متكرراً فذلك خير من نشر القصيدة او المقالة بالتوقيع الذي يذكرك فيه الاسم غفلاً لا يعرف سماء الا المهملون هو قد يشبه غيره لكثرة المشاركة في الاسماء والالقاب هنا (اي في البلاد المصرية)

كتاب الهدية المصرية الى الجامعة الوطنية

كتب سليمان أفسدي مصوبع الحامي السوري مقالات في الاجتماع البشري والممران ونشرها في جريدة ثمرات الفنون وغيرها من جرائد بيروت ثم اقترح عليه أن يجمع شملها في كتاب فجاء الكتاب يناهز ١٠٠٠ صفحة في عشرة أبواب (١) في الممران أساسه وتحديد سره ٢ في الحاجة تأثيرها والوقاية منها ٣ في الخفاء ٤ في الانتقاد ٥ في مسؤولية الانسان ٦ في أدوار الحياة ونحو ذلك . وفي هذه البحوث آراء صحيحة وفيها مسائل غامضة ولعل أكثر الغموض من ضعف التأليف وإعواز البيان حتى كان الكلام كثرة جمة باصطلاحات جديدة وأسلوب لم يخاص دائما الى الأسلوب العربي الصحيح من حيث تعدية الأفعال وربط الكلام ببعضه ببعض ووضع الحكم موضعه على أن فيه جملة رائمة وتجاوزا حذرا في بعض المواضع . وقد كان أعجب الكتاب الي وأحسنه عندي كلامه في الدين والشرائع الثلاث الموسوية والمسيحية والاسلامية فانه قد بناه على قاعدة انشؤ والارتقاء وبذلك تبين ان دين الانبياء واحد وان الأخير مكمل لما قبله وعليه الممول في الخلاف ولولا التطويل لقلت كلامه هذا على انه قد سبق لنا اقتباس ما كتبه الأستاذ الامام (رحمه الله تعالى) في ذلك من رسالة التوحيد وهو الكلام الذي ليس فوقه مطلع ولا وراءه غاية . واتما تقي على سليمان أفسدي لثباته بما نقل العناية به في تلك البلاد ، ونرجو له زيادة التحرير والاجتهاد .

كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة

لهذا الكتاب ذكر في دواوين المتقدمين لشهرة مؤلفه أبي نصر الناراني فياسوف المسلم من في القرن الرابع وقد كان من كنوز الكتب الخفية فظفر في هذه الأيام وطبعه الشيخ فرج الكردى والشيباني مصدق في قاضي دمشق . يضاهى من المكتبة للألوكة بمصر مسائل الكتاب تدور على أطوار الفلسفة اليونانية في وجود الاول وما يجب له من الصفات ، في أقسام الملوحدت الأخرى ومنها النفس ومن هنا ينتقل الى الكلام في الوحي والشبوة ثم الى حاجة الانسان الى الاجتماع والتعاون وانما يكملان بالمدينة انذلك بين معنى المدينة وقسمها الى أقسام المدينة الفاضلة وما ضاها من المدينة الجاهلة والمدينة

لفاسقة والمدينة المتبدلة والمدينة الضاعة . ثم ذكر في التفصيل أقساماً أخرى منها مدينة لحسة والشقوة فان « وهي التي قعد أهلها التمتع بأنذمة من الأكل والمشروب والمنسكح بالجلمة اللذة من المحسوس والتخيل وإثارة الهزل والعب بكل وجهه ومن كل نحوه بهذه المدينة قسم من أقسام المدينة الجاهلية . أما المدينة الماسقة فهي أرقى من المدينة الجاهلية وقد عرفها بقوله « وهي التي آراؤها الآراء الماضية وهي التي تعلم السعادة والله عز وجل وأشواني والمقل القمائل وكل شيء سبيله أن يعرفه أهل المدينة الفاضلة بيمتقدونه ولكن تكون أفعال أهلها أفعال أهل المدن الجاهلية » وجميع مباحث الكتاب يجري على طريق الفلسفة اليونانية

واعلم من اطلع أو يطلع على هذا الكتاب يتذكراتنا كتابنا عن هذه المدينة بالماسقة فقام بعض الذين لم يرتقوا عن أهل المدينة الجاهلية يسلموننا بالسنة حداد زاعمين أن ذلك يتضمن الطعن بمرض كل من يقيم في هذه المدينة « يقولون بأنهم مايس في قلوبهم » على أنهم هم الطاعنون ولكن لا ينجحون
(مرور في أرض الهناء . ونبا من عالم البقاء)

كتاب جديد الوضع والاسلوب والتخيل أنه شكري أقندي الحوري اللبناني المقيم في البرازيل . فلما أرض الهناء فهي المدينة الفاضلة أو الكاملة في رأي فلاسفة هذا العصر وعلمائه وهي سعادة الحياة التي يتمنون ان يصل اليها البشر بالعلم والعمل والآفاق والنواد بين جميع الناس وبلوغهم العمر الطبيعي (مئة سنة او أكثر) مع التمتع بالصحة والعافية لما يتربون عليه من الرياضة البدنية والعقلية وتجنب الافراط والتفريط في الامور كلها لاسباب السرف في الطعام والشراب . صر بهذه الارض روح بشري فارقي جسده وذهب الى الدار الآخرة فكانت في طريقه اليها وقد كتب الي صديق له في الدنيا ينبهه بوصفها على ما خيله . وثاب الكتاب

وأما عالم البقاء فهو معروف والمؤلف بصور في موقف الحساب والجزاء بحضرة ملك شرقي ظالم وأحد المتصرفين في جبل لبنان وواهب وشيخ مسلم وبخيل وامس وكاهن (قسيس) ومخافي وطيب وسكير ومحام . يحاسب كل منهم ويهاق على ما أفندي الارض - تذكر ذنوبه ، وتشرح عيوبه ، ويبتدر ويتصل ، فلا يفتد ولا يقل .

وأما أسلوب الكتاب فهو فكاهة سلسة يترب من أسلوب العوام ويتخلله كثير من عباراتهم وأمثالهم وتشبيهاتهم ومن قرأ طائفة منه يندفع الى إعظامه بسائق الرغبة وحادي اللذة وقلما ترى بين الكتب التي تؤلف وتنتشر ويتناهاجح بين اللذة والفائدة لاسيما في شؤون المعبشة والاجتماع والسياسة . نعم ان الفكاهة لا يتبقي في مقام الرهبة والجبروت وفي مواقف الحساب والجزاء ولكن غرض المؤلف من ذلك تمثيل سميات هذه الاصناف من الناس التي تشغل بالصلاح العامة فقصدتها وهم الملوك المستبدون وأعدائهم والاطباء والصحافيون والمحامون والقسوس وغيرهم من رجال الدين وقرنهم بالمصوص والبخلاء وليس الغرض الاول تمثيل أهوال الحساب والجزاء وارهاب الناس منه بل هذا وسيلة وذلك هو المقصد.

ومما ينتقد عليه أن ماذا كره من حال الملايكة التي تذهب بالارواح والتي تتولى الحساب والجزاء لا يتفق مع عقائد الناس أو تخيلاتهم فيهم ولا هو في نفسه مؤثر يصادف من النفس موقفاً يليق به وأكثره لافكاهة فيه الاماذا كره من فتنة الحامي، تهيجه التنبؤ في ذلك العالم لاجل ان يجو من العقاب فلا يستطيع احد ان يملك ضحكة عند قراءة هذا

وقد انتقد عليه زميلنا نفوس افندي لبيكي صاحب جريدة المناظر الحرة في مقدمة وضمها له اكتفاءه بذكر الراهبات من الاجواق التي رأها صاعدة الى السماء، حيث تاتي أحسن الجزاء، ففي الناس من يستحق ذلك غيرهن . وأنتقد عليه انا بقوة زعمه ان النصراري تتقرب من المسلمين في جرائدهم ومدارسهم والمسلمون لا يزدادون الا تباعداً والهبوب ان في هؤلاء الفريقيين من يسمى للتساهل والتقرب منهما وان جرائد المسلمين أبعد عن اثاره التعادي من جرائد النصراري فاننا لانرى فيها جريدة منتشرة تعرض للنصارى فيما يختص بدينهم ورؤسائه كما نرى في جرائد النصراري بمصر من ذلك حتى ان بعض الجرائد اليومية كانت من عهد قريب تظمن وتحمي عن العقائد الاسلامية في الازهر وتعرض يمض كبار العلماء والأئمة وتحاول اشراب لانها انهم يبتون في الازهر الاطواد ويفسدون الدين ومثل هذا كثير في كل الجرائد كالمناظر وأما المدارس النصرانية فأكثرها أو جميعها تلزم التلاميذ المسلمين بالعبادات النصرانية ولا تعرف مدرسة اسلامية في الدنيا تعامل التلاميذ النصراري بمثل هذه المعاملة .

ثم انه ليس المشايخ المسلمين من العناية بامتهم وتلقينهم التعاليم والتقاليد الدينية مثل مالكوسس وأكثر من ذلك المشايخ مع غيرهم في الامور المادية وباليتهم كانوا يذنون بنشر مسائل الدين إداً لقل التناظر فإن رأي الاسلام في النصرانية ليس ككراي النصرانية في الاسلام. الاسلام ثبت ان كتاب النصرانية حق ويوجب الايمان بمن جاء به وانما ثبت ان اهلها حرفوا وانحر فواعن صراطها وان ابداءهم حرام والبر الهيم مشروع. والنصرانية تمد الاسلام كذراً في اصوله وفروعه وقد ألف القسوس في ذمه كتاباً حشوها بأكاذيب لم تخطر على قلب مسلم في الارض ثم انه لم يقم احد من المشايخ يجالس وسامراً لاجل الطمن في النصرانية ولم يبينوا احدا منهم للغة النصرانية الى الاسلام كما يفعل القسوس بالمسلمين، فأى الفريقين هو المرفق بين العالمين؟

لهذا أرى ان أقرب طريق الى التأليف بين الفريقين نشر تعاليم الاسلام الصحيحة في المسلمين واقتلاع قسوس النصرانية الذين طم السطان الاعلى على قلوب عامتهم عن تنفيرها من المسلمين وكفهم عن الطمن في الاسلام ولا أبرئ بعض المشايخ من كلام ضار يؤولونه في المجالس عند ما يذكر تصبب النصرانية ولكن مثل هذا الكلام لا يكاد يجي في دهر من دهر ولا كتاب تعابى. وقد اذقت من لأحصى من المسلمين بأر الساهل والاتقى على الصالح الديوية خبرياً أمر به الدين فهاجده مقاومة تذكر، ولا رداً يؤثره وقد ثبت من قبل ان الصواب في التأليف ان يحمل الاحرار من كل طائفة على التحسين المرفقين منها واما حمل كل طائفة على الأخرى فهو الداء الذي لا يرجى معه شفاء.

تهذيب الاخلاق

بوله في كل أمة ألوف من الاولاد على استمداد فظيم العلوم والفضائل فيضيع استمدادهم باغفال تربيتهم وتعليمهم وفيهم من لو علم وربى لهض بالامة أول كان ركناً من أركان ارتقاها. على أن اغفال تربية الاولاد وتعليمهم لا يكون من والديهم بالعد والاختيار وانما هو الجهل والعجز. وقد تهمل اتربية الصحيحة والتعليم النافع في الامة حتى لا يوجد أحد يقوم بهما ويقيمهما على قواعدهما وأمة مثل هذه بلوح للنظر انها قد تودع منها حتى لا رجاء فيها. ولكن هذا انظار غير صحيح فتدقيق في الله لهدم فيه الجهل والفساد، من يرني فيه بعض الافراد، فيكون منهم التور والمستطير.

والخير الكثير، كما علمت من سيرة الاستاذ الامام رحمه الله تعالى، وقد ينهض الاستعداد يمهض الناس الى ان يربي واحدهم نفسه بعد الرشد واستقلال الفكر ثم ينهض لتربية غيره ولا بد لمثل هذا من الاسترشاد بالكتب النافمة، ومن هذا الصنف العالم الفيلسوف أحمد بن محمد بن مسكويه صاحب كتاب (تهذيب الأخلاق) الذي هو أحسن المختصرات في هذا العلم الجليل.

ولمت بهذا الكتاب منذ رأته فطالمته ثم قرأته درساً ثم علمت بعد الهجرة الى مصر ان الاستاذ الامام قرأه درساً كما ذكرت ذلك في ترجمته وكان الكتاب يومئذ مجهولاً عند المشتغين بالعلم فعرف وميناً فاستحي ويسرنا ان الناس أقبلوا عليه في هذه السنين فقد كان طبعاً طيباً قيماً ونفدت نسخة فاعاد طبعه عبد العليم اندي صالح منذ سنين بالحرف الاسلامبولي الجميل على ورق جيد فأقبل الناس بسميه عليه حتى نفدت نسخته ورأى من الاعانة على التربية أن يطبعه ثانية ففعل له من الفضل في اتخاذ الوسائل لنشره ما يباهي قيامه باجادة طبعه فحسى أن يكون في هذه الكرة اسرع انتشاراً لتبشر بأن أمتنا تزداد حباً في العلم النافع وميلاً الى التربية الصحيحة عاما بعد عام، وثمان النسخة من الكتاب خمسة عشر قرناً وأجرة البريد قرش مئيع ويطلب من طابعه ومن إدارة المنار بمصر

شكر واعتذار

نشكر الذين عزونا ببرقياتهم وكتبهم عن مصابنا بما لانا الاستاذ الامام طاب من ان مكاتمانه فكان الولد البار من الوالد الرحيم، والمريد الصادق من المرشد الحكيم، على انه تقدمه الله برحمته كان ابا الامة ومرسبها، ومرشدنا وهادينا، فانه منز لنا الا وكان ينزي نفسه ثم يذكر الامة والاسلام، ويترف بأن انصاب عام، وكذلك رأينا التمازي التي خوطب بها اخونا حموده بك عبده والشبخ عبد الكريم سلمان بل رأينا مثل هذه التمازي في أيدي بعض المرادين ونشتره واذجاً من ذلك في كتاب المنار يخ ان شاء الله تعالى، وأما الاعتذار فهو عن عدم مجاوبه المزين ويدخل فيه الاعتذار ان كاتبونا منذ أشهر في مسائل اخرى ونخص بالذكر البحر بن وزنجبار والغرب الاتقى، ولعلنا نكتب اليهم عن قريب (تنبيه) لاننا نجر انداءهم بنة نزل ترجمة لاستاذ الامام عن المنار ولا يضر اقتباس

قليل من العبارة مع الزرو وكثير من اللحن ولو بدونها لأمانة بين أمله



www.alukah.net

بدء من شبكة الألوكة

بؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

اللهم صل على محمد وآل محمد

فصل عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوي و«نارا» كمنار الطريق)

(مهر - ١٦ جادى الثانية سنة ١٣٢٣ - ١٧ أوغسطس (آب) سنة ١٩٠٥)

تتمت سيرة الاستاذ الامام

حياته في المنفى

لانكامل تربية الرجال ، الا بمكافحة الا هوال ، فمادن النفوس لا تصنوا
من شوائب الضعف في الحق ، وتمكن من مقعد الصدق ، الا بعد ان
تمرض على نيران الفتن ، وتداب في بواقي المحن ، « فأما الزيد فيذهب
جنفاه وأما ما ينفع الناس فيكث في الأرض » ولذلك يتلى الله سبحانه وتعالى
عباده المصلحين بفتن المفسدين ، ليذم الصابرين والصادقين ، وليحص الله
الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، فالتين والتكواثر تمحص نفوس المؤمنين
بالله السافرين على سببه فتزكيا وتعليها ، وتمحق الكافرين بنعمه والمنحرفين
عن سببه فتدسيها وتضيها ، وقداتهم فقيدنا في الثورة بما هو بريء منه ،
وتنتن المناقرون يومئذ بأخبار السوء عنه ، حتى أنذر بالأعدام ، ثم استبدل
ذلك بالنبي ثلاثة أعوام ، فما حقد علي واش ولا محال ، بل كتب من السجن
الى صاحب له يجب من كيدهم ثم قال ،

« ولئن عشت لأفعلن المرووف ، ولأغين الملهوف ، ولأنقذن
الهاوي في حفرة القدر ، ولأخذن بيد المتضرع من ضغط الظلم ،
ولأتجاوزن عن السيئات ، ولأتناسين جميع المضرات ، ولأبين لقومي أنهم
كأوا في ظلمات يمهون » ولأظفرن الصديق في أجل صوره ، ولأجلوته جديدا
للناس في أبعج حلاله ، ولأثبتن لهم برهان الممل انه فكرك الثاني في روحك
الواحدة ، وجسمك الآخر في حياتك المتحدة ، وأنه صاحبك اذا طال ليل
الكدر ، ومصباحك اذا غمت دجى الهوم ، تستضيء به في حل ما انقعد ،
وتستعين بقوته في تيسير ما عسر ، وتذهب به إلى أوج المعالي والناس من

معجزات الصديق يمتعجون * - الى ان قال - لكني أقول لكم ان هذه
الحوادث المرعبة سوف تنسى ، وان هذا الشرف سوف يرد ، وان أثبت
طبيعة هذه الأرض بنحمتها ان يكون لها من عوده نصيب فليعودن في
بلاد خير منها ، ولا تجذبن الى المجد احبتي ومن الى المجد ينجذبون * كل
ذلك ان عشت وساعدتني صحة الجسم ولا أطاب شيئا فوق هذين سوى
مهونة الله الذي عرفه بعض الناس وبعضهم له منكرون *» والكتاب طوبل
ومنتشره برمته في تاريخ النقييد

وله قصيدة في الثورة نظمه في ظلمة السجن أيضا تزيد على مئتي بيت وقد
عرض في آخرها بما أبانه في آخر كتابه هذا من صدق المزبنة والثقة بنفسه
والاعتماد عليها في مقابلة الزمان بعد الانكسار على الله تعالى وكونه لا يخاف
شيئا يقطع عليه طريقه في عمله لوطنه وأمه الا الموت قال

وأحفظ الدهر أني لا أشاكره فيما تبطن من شس وتمويه
أحارب الدهر وحدي ايس ينفعني الا الثبات وحمي من أضافه
تسلم الدهر مني كيف يطمئني فخاب ظنا وخاتمه مزا كيه
وليس يمجزي عن كسر فيلته الا المنايا تفاجبني فتحويه
ان المنايا سهام الله سددها وليس يخطيء سهم الله مرصيه
أرايت من كانت له هذه النفس العالية ، والوزيمة الماضية ، أليحط
من قدره ان يهتم بالسياسة فباقي في غيابة السجن ، أم يفتني نور استعداد ،
الاخراج والنفي ، ؟ كلا

(عمله في اوربا بمصر والاسلام)

سافر رحمه الله تعالى الى سوريا فأقام فيها نحو سنة ثم سافر الى أوروبا

على اتفاق بينه وبين استاذة وصديقه السيد جمال الدين لأجل الاشتغال بما كان يسمى « المسألة المصرية » بأقام فيها عشرة أشهر معظمها في باريس حيث أصدرها جريدة العروة الوثقى وكاننا أمسا لها جمعية من مسلمي الهند ومصر والعرب وسوريا غرضها السعي في جمع كلمة المسلمين وإيقاظهم من رقدهم وإعلامهم بالآخطار المحدقة بهم وإرشادهم إلى طريق مقاومتها.

كان السيد جمال الدين مدير سياسة الجريدة والشيخ محمد عبده المحرر الأول لها، على انهم يكن لها محرر سواه لا من كان يترجم بمض الأخبار من الجرائد الأوروبية وينقلها إلى الشيخ بصحتها وينسخ فيها من روح العبرة ما ينفخه. كان السيد منبع الأفكار والآراء السياسية التي تنشر في الجريدة لأنها مأهولة من سيئات الإنكار في الهند وغيرها وكان الشيخ يبرز هذه المسائل في صورة روع الإبصار وتحريك الأفكار ويتصرف فيها ماشاء أما المقالات التي كان يكتبها في الاجتماع والوعظ والأخلاق والسياسة الإسلامية فقد كانت من الآيات البينات التي لا يكاد يوجد في كلام البشر ما يباهمها في البلاغة والتأثير حتى كان علماء المسلمين وعقلاؤهم في كل قطر يتوقعون أن تحدث تلك الجريدة انقلابا عاما في المسلمين : حدثني الثقة عن السيد سلمان أفندي الكيلاني نقيب بندا أنه كان يقول كلما قرأ هذا من جريدة العروة الوثقى : يوشك أن يحدث انقلاب في بعض بلاد الإسلام قبل أن يصدر العدد الذي بمله هذا . والسيد سلمان هذا كان من بينا زعماء المسلمين يخضع له مئات الألوف من العرب والمسلمين وسعدت شيخنا الشيخ حسين الجمر العام الطرابلسي الشهير يقول: لو طال الزمان على جريدة العروة الوثقى لأحدثت نهضة جديدة للمسلمين وانقلابا عظيما.

أقول وهي هي التي نقلتني من طور الى طور وحببت الي صاحبيها
حتى جذبني الحب الى مصر ووصل جبل ودي بالاستاذ الامام وحملي
على نشر حكمته ، وإعلان دعوته ، فقد كنت مرة أبحث في أوراق والدي
الميتة وأتصفح ما فيها من الجرائد المطوية فعثرت على أعداد من المروءة
الوثقى فطقت أقرأها المرة بعد المرة وهي تفعل في نفسي فعلا - تهديم وتبني ،
وتعمد وتثني ، وما كان وعدا الا حقا ، ولا تمنيا الا رجاء وأملا ، أحدث
إصلاحا وعملا ، فكانت هي أستاذي الثاني الذي أرى في نفسي ، وأقيم عليه
بناء عملي وأملي ، وأما الاستاذ الأول فهو كتاب إحياء العلوم للإمام الغزالي
الذي كان أول كتاب ملك علي وقلي . أنشأت بمداد ان ظفرت بتلك
الاعداد أبحث عن اخواتها في طرابلس فكنت أجد عند الرجل المدد وعند
الآخر المددين فأنسخ ما أجد ثم علمت ان الشيخ حسينا الجسر احتواها
كلها ومن عنده أتممت استنساخها . وأكبر أثرها عندي أنها هي التي وجهت
نصي السعي في الإصلاح الاسلامي العام بمدان كنت لا أذكر الا فيمن بين
يدي وأرى كل الواجب علي ان أظهر في دروسي المقيدة الصحيحة والاخلاق
الفاضلة وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأنفر عن المعاصي وأنا لا أعلم
سبب الفساد الذي فعل في المقائد والاخلاق ما فعل ، ودفع المسلمين الى
مزلق الزلل ، حتى هدتني المروءة الوثقى الى المناسي والملل ،

لم تكن خدمة الشيخين للاسلام في أوروبا قاصرة على الوعظ والإرشاد
بل كان لهما سعي لدى فرنسا وانكلترا نفسها في المسألة المصرية ومسألة
السودان وكان سعيهما - لو ظهر - غربيا . وكان منه إقناع ناظر خارجية انكلترا
بمدد فصل السودان عن مصر وسفر الاستاذ الامام الى بلاد كثيرة لتوثيق

العروة والتمهيد للعمل أن يترك السودان لأهله ويمدوا عن محاولة فتحه، وكان لهما في ذلك آمال، ومقاصد ذات بال، وقد كان تقرر هذا وما حال دون إرضائه رسمياً إلا موت محمد أحمد هادي السوداني، ولو شرحنا الوسائل التي اتخذها الشيخان لذلك لحارفي براعتيهما لثلاثين، لأنكر ان هذه الاعمال السياسية كان السيد جمال الدين هو المقترح لها ولكن كان فقيدنا عضده وساعده ولسانه وقلمه ولولاه لما استطاع انضي فيها على أن فقيدنا كان بما جرى له ولشيخه مع توفيق باشا في مصر قد ضعف أمه في الاصلاح السياسي ووجه همه الى الاصلاح القومي في التربية والتعليم. حدثني انه قال للسيد في أوروبا إن هذه السياسة لا يأتي منها خير لان تأسيس حكومة اسلامية عادلة مصلحة لا يتوقف على ازالة الموانع الاجنبية فقط فتخير لنا ان نذهب مما الى مجهول من مجاهيل الارض لاسلطان للسياسة فيه ونحاول تربية افراد على ما نحب فاذا تيسر لنا تربية عشرة رجال يبذلون انفسهم لخدمة الامة لا يصددهم عن ذلك الجثوم في وطن، ولا الاخلاص الى الاهل والسكن، بل يكون همهم الاكبر الضرب في الارض لتربية مثلم على ما ربوا عليه فلا يبعد ان يربي الواحد منهم عشرة فيكون لنا في زمن قريب مئة رجل يعملون للاسلام والرجال هم الذين يعملون كل شي، فقال له السيد انما أنت مشيط قد شرعنا في عمل فلا بد من المضي فيه حتى يتم أو نمجز كان لذلك السعي في انقاذ مصر والسودان أو السودان فقط طريق في ذلك الوقت لان الاحتلال الانكليزي كان في نظر أوروبا كلها موقفاً ولم تكن قدم انكلترا واسنخه في مصر، وبعد ان رسخت التدم وتمكنت السلطة من البلاد قام بعض الأحداث يكتبون ويخطبون ويقولون ما يمدأمام ما تاله وكتبه

الشيخ في وقته لتوا وكانوا يمدون أنفسهم بذلك خدمة مصر ومنتقياً
 فبرهون مثل الفقيه بالتصير في خدمة الامة ولوطن على انه هو المعري
 الوحيد الذي قدر على استخدام السلطة الانكليزية في مصر لخدمة مصر
 والاسلام، بمدان صارت الخدمة بمقاومتها من المحال، ولو كانت الخدمة النافعة
 هي مقاومة القوة بالكلام والكتابة لكانت العروة الوثقى أخرجت الانكليز
 من مصر قبل ان يتمكنوا منها

(مناظرة الفقيه لوزراء الانكليز في المسألة المصرية)

ذهب الفقيه الى لندن في تلك الاثناء وتكلم مع وزراء الانكليز
 في المسألة المصرية ومسألة السودان وفي ندوة المصرية وغير ذلك ونشرت
 الجرائد الاوربية بعض محادثاته معهم. نذكر هنا محادثة نشرت في العدد
 الرابع عشر من العروة الوثقى الذي صدر في ٢٢ شوال سنة ١٣٠١ - ١٤
 أغسطس سنة ١٨٨٤ تحت عنوان (مؤلاء رجال الانكليز وهذه افكارهم)
 والكلام بلسان السيد قل:

« تأخر صدور الجريدة أياما لضرورة مامسنا من ضعف في المزاج
 مع مصادفة رداءة الهواء في البلاد الفرنسية هذه الايام والحمد لله على
 زوال المانع. الا اننا مع ذلك لم نقصر في أداء الواجب من العمل الذي قنا
 به في المدافعة عن حقوق المسلمين فقد خلقنا والشكر لله لهذا العمل وطبنا
 عليه ونرجو ديان السماوات والارض ان تثبت في هذه السبل وان تثبت
 في ذمرة السالكين فيها.

وأنا إن يذهب الشيخ محمد عبده (المحرر الاول لهذه الجريدة)

الى لوندرا إجابة لدعوة من يرجى منهم الخير المتنا ومن يؤمل فيهم صدق

النية في رعاية مصالح المسلمين من رجال السياسة الانكليزية ، وليستكشف
 مناصب الفخاخ السياسية التي مارست عليها قدم شرقي الاستقطت منها فيما
 يسر الخلاص منه ، وليسبر أغوار المطامع الانكليزية التي لا يدرك منهاها -
 تلك المطامع التي بعد ما اتهمت ثاث المسكونة وطوت كرة الارض بانفتح
 والاستملاك لم تزل في مد لا جزر معه ولا يزال رجال حكومة بريطانيا
 في فرم شديد لا يتلاع بمالك الهالم وكلما أساغوا قطرا طلبوا اليه آخر ،
 وليستطلع خفايا المقاصد من أثناء الافكار وعضون الاقوال ، وليقف على
 الطرق المألوفة بين أولئك السياسيين في التلون ويتبين كيف يتمكنون
 من ابراز محاسن الاحمال في صفات رديئة يستنكرها كل ناظر اليها واظهار
 السيئات في ألوان بهجة تسر الناظرين حتى يمكن بعد ذلك وضع ميزان
 فسط يميز به الزيف من النضار الخالص كي لا يفتتر الجاهل ولا يزل
 العاقل . لاتي (محرر الجريدة) كثيرا من رجال السياسة الانكليزية وأخذ
 الناس رأيا فيها وقد جرت بينه وبينهم محادثات طويلة في الاحوال المصرية
 ومن محادثاته الابتدائية ما نشر في بعض الجرائد الانكليزية كجريدة «البال
 مال كازيت» وجريدة «التروت» التي يحررها النائب الشهير مستر لاوشير
 وجريدة «التيمس» وسيد كرشي ، مما جرى بينه وبين بعض الاكابر من رجال
 الحكومة الانكليزية مما يثبته منه الشريون عموما والمصريون خصوصا
 وسنأتي جريدتنا على بعض ما استنبطه من قوى أقوالهم وأدركه من جديد
 صرامي أفكارهم . أما الآن فنأتي على جملة واحدة من محادثة طويلة كانت
 بينه وبين اللورد (هرتسكوتون) وزير الحرية الانكليزية ليأخذ كل مصري
 منها حظه ويصيب كل شرقي سهمه ويقف جميعهم على مواقع الشرفيين من

أُنظروا رجال الحكومة الانكازية .

سأل اللورد هرتنكتون وزير الحربية الانكازية: ألا يرضى المصريون أن يكونوا في أمن وراحة تحت سلطة الحكومة الانكازية أو لا يرون حكومتنا خيرا لهم من حكومة الأتراك وفلان باشا وفلان باشا؟ فأجاب الشيخ (محرر جريدتنا) كلا إن المصريين قوم عرب وكلهم مسلمون إلا قليلا وفيهم من محبي أوطانهم مثل ما في الشعب الانكازي فلا يخطر ببال أحد منهم الميل إلى الخضوع لسلطة من يخالفه في الدين والجنس ولا يصح لحضرة اللورد وهو على علم بطبائع الأمم ان يتصور هذا الميل في المصريين: فقال الوزير هل تنكر ان الجهالة عامة في أقطار مصر وان الكافة لا تفرق بين الحاكم الاجنبي والحاكم الوطني وان ما ذكرته من النفرة من سلطة الاجانب انما يكون في الأمم المهذبة؟ فأخذت الشيخ حدة تليق بمسلم لا يتهاون في أداء ما فرض الدين وأوجبه حقوق الملة وقال: أولا ان النفرة من ولاية انجني ونبذ الطبع لسلطته مما أودع في فطرة البشر ولبس يحتاج للدرس والمطالعة وهو شعور إنساني ظهرت قوته في أشد الأمم توحشا كازولوس الذين لم تدسوا ما كابدتموه منهم في الدفاع عن أوطانهم . وثانيا ان المسلمين مهما كانوا وعلى أي درجة وجدوا لا يصلون من الجهل الى الدرجة التي يتصورها لوزير فان الاميين منهم ومن لا يقرأون ولا يكتبون لا يفوتهم العلم بضروريات الدين ومن أجلاها وأظهرها عندهم ان لا يدينوا المخالفين فيه وان لهم في الخطب الجمية ومواعظ الوعاظ في مساجدهم ما يقوم مقام العلوم الابتدائية وان جميع ما يلقونه من النصائح الدينية يحذروهم من الخضوع لمن لا يوافقهم، ويحدث فيهم من الاحساسات

الشريفة الانسانية مالا يحطون معه عن سائر الأمم خصوصاً المصريين الذين ينطقون باللسان العربي وبفهمون دقائق ما أودع في ذلك اللسان وهو لسان دينهم . وثالثاً إن أرض مصر من زمن محمد علي قد انتشرت فيها العلوم والآداب الجديدة على نحو ما هو موجود في بلاد أوروبا وأخذ كل مصري نصيباً منها على قدره ولا تخلو قرية من القرى الصغيرة من أن يكون فيها قارئون كاتبون والخبار العمومية توصلها إليهم الجرائد العربية ومن لم يقرأ يستضيء بالخبار من القارئين فهذا أضافوا إلى الشهور الطبيعي والتقليد الديني محبة وطنية منشأها التهذيب العمومي قوي بها الميلاق الاولان ولا أظنهم يخالفون في ذلك سائر الأمم : اهـ

«أين العلماء الاذكياء، أين الجملة الاغنياء، أين الأباة الاعلياء، أين السفة الأديناء، ايرى كل واحد منهم منزلة الشرقيين عند رجال الحكومة الانكليزية كل ذي شكل إنساني وصورة بشرية يدرك ما وراء هذه الاسئلة وما تشف منه هذه الظنون المجيبة .

«هذا الاورد هر تنكتون وزير الحربية الانكليزية يظن ان الجهل يبلغ من المسلمين عموماً والمصريين خصوصاً الى حد سلب عنهم كل احساس إنساني وانهم في حضيض من الجهل لا يميزون فيه بين الغريب والتريب، ولا بين المدوة والحبيب

هذا دليل على ان الانكليز (لا من أنار الله بصيرته ووقفه لفهم الصواب) يعتقدون ان الأمم الشرقية والأمة المصرية في درجة الحيوانات السائبة والدواب الراحية لا تتألم الامن الجوع وفواعل الطبيعة المادية وليس لها من الاحساس إلا نوع من الانفعالات البدنية ولا تعرف من شؤونها

الإمامه تقوم حياتها الحيوانية فتألف رايكها والعامل عليها ومستخدمها في أي عمل من الأعمال الشائنة مادام يقدم لها طعاما وشرايا وإنها تمس وتبش لرؤية من يقدم لها غداها وعشاءها وإن كان من أشد البلاء عليها بما يسومها من مشاق الأعمال فإذا عجزت عن العمل ذبحها وتغذى بلحومها: الخ الخ

ضائق الحرية الانكليزية الواسعة ان تسع جريدة العروة الوثقى فنفتها من الهند ومصر واشتدت الحكومة الانكليزية في إعانات من تصل اليهم وفرضت الحكومة المصرية غرامة وعقوبة على من ترى عنده فكان ذلك مانعا من الاستمرار في اصدارها وقد كان صدور آخر عدد منها (وهو الثامن عشر) في ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٠١ - ١٦ اكتوبر سنة ١٨٨٤ ثم سافر التقيد الى تونس فأقام فيها أياما ثم سافر الى بلاد أخرى متكروا فوثق عقود العروة السرية التي كان من أغراضها ما أشرنا اليه ولو ذكرناه مرتبا منفصلا لكان ماثرا للمجب من ركوب هذا الرجل مع استاذ الصواب واقحامهما للاخطار في خدمة هذه الأمة التي كانت ولا تزال كالمرضى الاحمق بأبي السلاج لأنه علاج وان كان سهلا سائنا، ويمت حكيمه وطيبه وان كان برار حيا، فليحفظ القارئون هذا الايجاز ليذكروه عندما يصلون في تاريخه الى سلوكة الاخير في مصر إعلان رأيه بتختم مسألة المحتارين والاستفادة من حريتهم وحبهم للممران ليطمئنا انه هو عين الحكمة التي اختيرت بعد مساع جلية، وتجارب طويلة،

﴿ عمله في البلاد السورية ﴾

وبعد الاختفاق في ذلك العمل السري، دون ذلك الهدي النبوي، التي مصالير في بيروت أعظم ثغور سوريا وأقربها من الممران فأقبل عليه

أهل العقل والفضل ، وأرباب الذكاء والنبيل ، يستفيضون منه سماء الحكمة ، وتلقون هدي الحكماء والأئمة ، فكانت داره مدرسة عامة يؤمها الأذكياء وعشاق المعارف ، من جميع الملل والطوائف ، ومما كان يقرأ عليه فيها السيرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ، وكان يقرأ التفسير في الجامع الكبير وفي جامع الباشورة لا يلتزم فيه كتابا وإنما يقرأ في المصحف ويلقي ما يفيض الله على قلبه وكان الناس يقبلون على درسه إقبالا لم يعرف في تلك البلاد لأحد من قبله حتى حصد النصارى عليه المسلمين فكانوا ينقلون إليه زرافات ووحدانا ويقفون بباب المسجد يعدون أعناقهم ويشخصون بأبصارهم ويصيحون بأذانهم لهمم يلتقطون شيئا من تلك الدرر . ثم إنهم استأذنوه في دخول المسجد والجلوس في ناحية من حلقة الدرس فأذن لهم « فأجره حتى يسمع كلام الله »

وفي أول سنة ١٣٠٣ دعي إلى التدريس في المدرسة السلطانية لإحياء اللغة والدين فيها فاجبى ولم يكن في المدرسة من العلوم العربية الا مبادئ النحو والصرف وما تسميه الترك « علم حال » وهو ما يلحق بالولدان من أحكام المبادىء . فلما دخل المدرسة أدخلها في طور جديد كما كان شأنه في عامة أعماله يدخل في العمل سرعوسا فيكون في الواقع رئيسا . ذلك انه أصلح إدارتها بالاتفاق مع مديرها ووضع قانونا جديدا (بروجرام) للدروس وزاد في العلوم التوحيد ومعاملات الفقه والتاريخ الاسلامي والمنطق والماني والانشاء زادها لنفسه فكان هو الذي يدرسها حتى كانت دروسه تستغرق عامة النهار . وكانت دروسه كلها للتلاميذ على نحو ما ذكر في رسالة التوحيد وأمالي مختلفة تتغير بتغير طبقاتهم . . . في أسلوب لا يصعب تناوله ، وإن

لم يهود تداوله» إلا معاملات الفقه فكان يترأف فيه مجلة الاحكام المعدية التي يحكم بها في المحاكم العثمانية . وكان يكاف تلاميذ الانشاء حفظ شيء من نهج البلاغة وديوان الحماسة والالفاظ الكتابية ويشرحه لهم . وكان له هم عظيم وعناية تامة بملاحظة آداب التلاميذ في المدرسة حتى إنه كان يزورها ليلا لأجل ذلك . وقد تخرج على يديه نابتة هي الآن تستخدم البلاد بقيرتها واستقامتها ، وعرفاتها ونباها ،

ثم إنه في سيرته كان صريحا للجماهير الذين يترددون عليه فقد كان يجلس اليه النبي والشبي والدرزي والنصراني واليهودي فيوسع صدره للجميع ويمامل كل واحد بالأدب الذي يليق به لا يؤذي جليسا ولا يغمط فضل مذاكر ولا مناظر على أنه لم يكن يقول غير ما يعتقد سواء كان القول في الدين أو في العلم أو في الماديات والأموال الاجتماعية فكان رعي الله عنه نسخة كاملة من رجال سلفنا في التسامح والتساهل وجمع الكلمة واحترام العلم وأهله كما وصف في كتاب (الاسلام والنصرانية) وقد أدهش أهل الفضل بعلمه وأدبه وبلاغته لاسيما في الخطابة الارجالية التي لا يكونوا يهدونها وكان هنالك يشتغل بالتأليف فقد نقل إلى العربية رسالة الرد على الدهريين أو المقابلة بين الايمان والكفر في العمران التي كتبها السيد جمال الدين باللغة الفارسية . وشرح كتاب نهج البلاغة ومقامات بديع الزمان الهمذاني . وقد أقبل الناس على هذه الكتب وانتفعوا بها حتى انها طبعت مرارا . وكان يكتب المقالات النافذة في الجرائد وينشر ما نشرنا عليه منها في تاريخه . ولم يكتب بهذا الاصلاح المعنوي بل كان يسمى لدى الحكومة في اصلاح البلاد الاداري فوضع في ذلك لائحة قدمها للوالي

وسنشرها في تاريخه أيضا وكتب لأئمة أخرى في الإصلاح لديني وقع عليها بعض الوجوهاء وقدمت بواسطة الوالي الى السلطان . وكان قد جال في أرجاء الولاية واختبرها أتم الاختبار

عُودته الى هذه الديار * وما استفاده من الاسفار

وفي سنة ١٣٠٦ عاد الى القطر المصري وقد كمل تهذيبه بالاسفار ، وركوب الاخطار، ولذلك كان يسافر بعد ذلك في أكثر السنين مختارا كما كان يكرر المطالمة والمدارسة عن رغبة، بعد أن ألزم بالدروس أولا بالقوة، وقد كتب عن تأييد الاسفار في نفسه مانعه :

«أما الاسفار الى البلاد المشائية ومباشرة كثير من المسلمين غير مسلمي مصر فقد كان من نتائجها عندي أنني عرفت حق المعرفة أن مرض المسلمين نشأ من أمرين الأول الجهول بدينهم، إبداع ما يمكن منه إحصائه به واختلاط ما هو من الدين بما ليس منه حتى صار ما هم عليه دينا أجنبيا عن أصل الدين الاسلامي الطاهر الرفيع . والامر الثاني استبداد الحكام الظالمين من المسلمين في جميع أقطار الارض

وقد سافرت بعد ذلك صرعات الى أوروبا وأفريقيا فكان أثر الاسفار في بلاد المسلمين زيادة البصيرة في ذلك الذي عرفته لأول الامر، وأثر الاسفار في أوروبا قوة الامل في إصلاح أحوال المسلمين فقام من مرة اذهب الى أوروبا الا ويتجدد عندي الامل في تغير حال المسلمين الى خير منها وذلك باصلاح ما أفسدوا من دينهم، وتشجيع عزائمهم الى معرفة شؤونهم، وامتلاك ناصيتهم بأيديهم دون افراد ظلمهم. وهذه لآمل وان كانت تضيف في نفسي عند ما أعود الى ديارى لكثرة ما ألتقي من الضفت

وشدة ما أصادف من المصائب وسوء ما أرى من انصراف المسلمين عن النظر في منافعهم وشدة عداوتهم لانفسهم وقوة رغبتهم في تمكين ظالمهم من رقباهم وحبهم في الاستعباد لهم لغير سبب معتول ، لكنني متى عدت الى أوروبا ومكنت فيها شهرا أو شهرين تهود لي تلك الآمال، ويسهل علي تناول ما كنت أعده من المحال ، ولا تسألني عن السبب في ذلك فإني لأستطيع تفصيله ولكن هذا ما تحذره الأسفار في نفسي « اه

أقول والمتبادر الى الذهن ان السبب في ذلك هو ما يسمى في العرف الآن بتأثير الوسط أي البيئة من المكان والمكين لأن كل انسان يحل في مكان ويشاهد حال قوم لا بد ان يتأثر بشيء مما هم عليه بحسب استمداده وما وجهت اليه نفسه . وبلاد أوروبا تدرت ارتقاء عظيم في العلوم والصناعات والكسب والسياسة وغير ذلك فمن سافر اليها وكان من همم التجارة يزداد معرفة بطرقها ونشاطا في عملها ومن كان همه غير ذلك يتأثر بارتقاء القوم فيه فتعرض همته اليه وناهيك بما لو كسب القوم في خدمة أمتهم ، وإعلاء شأن ملتهم ، وما يذلون في هذه السبيل من الاموال ، وما يركبون لها من الاهوال ، فمن ير ما هم عليه من العزة والسيادة ، وهو يدلم ما كانوا فيه من الضمة والمهانة ، فهو جدير بأن يكبر أهله في قومه ، ولا ييأس من غده في يومه ، وكان تتمده الله برحمته يقول لي عندما يريد السفر الى أوروبا: اني اذهب لأجد نفسي: أي فقد أخلفتها مباشرة الكسالى واليائسين . وقد توجهت همته في هذه السنين الأخيرة لزيارة الشعوب المسلمة قبدأ بزيارة تونس والجزائر وكان عازما على زيارة الهند وإيران وقزاق والقوقاس في هذه السنة وما بعدها فصرفه المرض من عزمه في هذا العام ، ثم قطع آماله كلها الحمام ،

سيرة في القضاء الاهلي

لما عاد من سوريا الى مصر تسابقت المظاه الى توفيق باشا في طلب
المفوعه فكان من الشانين بعض الاسرة الخديوية ومختار باشا الفازي
والورد كرومر ولم يكن أحد منهم يعرفه من قبل معرفة شخصية ولكنهم
سهموا بفضلهم ففعل لكل منهم جملة وعفا عنه الامير وهو يعلم انه كان خصما
للاثورة العسكرية وان كان روحا مدبرة لتلك الحركة الفكرية، وأن الحاكم
عليه لم يكن عادلا ولذلك قال كبارى الثقة للفقيد: ما عرفت عن أحد عرفوا
كان أشبه بالاعتذار من هذا المفوع: ولكنه كان يخاف أفكاره السياسية
وميله الى تربية ملكة الاستقلال في الامة ولذلك أمر بأن يمين قاضيا في
المحاكم الاهلية فلما نفي الخبر الى الفقيد امتعض وقال انني لم أخلق لأكون
قاضيا أقول حكمت على فلان بكذا وعلى فلان بكذا وانما خلقت لأكون
معلما وقد جربت نفسي في التعليم فنجحت ثم طلب من ناظر الداخلية أن
يشفع له عند الامير باستبدال التدريس في مدرسة دار العلوم بالقضاء وقال
انني أعلم انه لا ارتقاء في التدريس وانني ارتقي في القضاء ولكنني لاجبه
فلم يرض توفيق باشا وقال انني لأحب ان يربي لي التلاميذ على أفكاره
السياسية فرضي الفقيد بالقضاء وما زال يرقى فيه الى ان بلغ أعلى درجة منه

وقد كان قاضي العدل والانصاف لا قاضي القانون والرسوم وان
شدت قلت القاضي المجتهد لا المقام ذلك انه لم يكن يحكم بتأمر عبارة القانون
وتطبيق الوجة عليها بادي الرأي بل كان يتحرى اظهار الحق واصابة العدل
في القضايا فان انطبقت على القانون والاعمد الى الصلح وكأين من قضية
خالف فيها القانون عمدا حتى وشي به بعض حساده الواقفين على ذلك

وذكر شيئا من مخالفاته هذه فسأه المستشار القضاة السابق (مستر سكوت) عن حقيقة ذلك فقال هل العدل وضع لأجل القانون أم القانون وضع لأجل العدل؟ قال المستشار بل القانون وضع لأجل العدل والعدل هو المقصود بالذات؛ فأنشأ حينئذ يشرح له النضابا وبين أنه لم يحكم فيها إلا بالعدل فقتل مستر سكوت ومصر منه سرورا عظيما لأنه كان منصفًا عارفا بقيمة الرجال على أن هؤلاء الامكانز أهدد السموب الأوربية عن الرسوم في القضاء وأقربهم الى اعتبار الانصاف ووجدان القاضي ولو كانت هذه البلاد محنة من دولة أوربية أخرى لتمذرا ارتقاء الفقيه فيها

ومما كان محكم فيه باجتهاده واعتقاده مسائل الربا فإنه كان إذا تمذره عليه الصلح يحكم برأس المال دون الربا فيا جأرب المال الى الاستئناف ليحكم له بالربا. ومما كان يخالف القانون فيه حبس الشهود الذي يظهر له تزويرهم فإنه كان يخرجهم من الجلسة الى الحبس. ثم ان الحكومة أقرت عمله هذا وأدخلته في القانون بالتعديل الأخير. وقد أساء الادب بعض الاجانب مرة في الجلسة بأمر مجبسه فحبس ثم جاء قنصله البيرال الى نظارة الختامية شاكيا من ذلك. وكام المستشار القضاة الفقيه في ذلك قنلا ان هؤلاء القناصل ليس لهم عمل يشغلهم في مصر فهم يفترضون شيئا بما يحكون به الحكومة ونحن نحب ان لا نجمل لهم سبيلا إلى القبل والقال: فذكر له الفقيه ما كان من ذلك الاجنبي في الجلسة من رفع الصوت وعدم التزام الادب المعروف وقال إنني مادمت جالسا على هذا الكرسي لتقرب العدل فأما لا أقصر في احترامه اذ لا يمكن احترام القضاء الا بذلك الخ ما قال وكان مستحسنا عند المستشار وقد كان يحكم على الاجانب وينفذ أحكامه. من ذلك أن كثيرا من

الفلاحين كانوا اذا حكم على أحدهم بنزع أرض من يده يلجأ الى رجل أجنبي أو رجل داخل في حمايتهم فيعطيه الأرض بعقد كاذب نكايه في خصمه فيمنع الاجنبي الحكومة من تنفيذ الحكم أو ترفع الدعوى إلى المحكمة المختلطة فتحكم فيها وكان من المحكوم لهم من يترك الأرض للاجنبي لا اعتاده بجزءه عن انزاعها منه في المحاكم المختلطة ومنهم من كان ياتي بنفسه في مهاوي لدعوى ويخسر فيها ماشاء الجهل ان يخسر، فعلى أمثال هؤلاء الاجانب كان ينفذ أحكامهم بالقوة متحملاً تبعاً لتنفيذ لامله بأن ذلك لاجنبي المختال لا يتجرأ على مقاضاة الحكومة في دعوى هو فيها مبطل بمجرد إثبات دعواه

ذلك شأنه في القضاء وقد كان فيه تسبج وحده ولم يكن مشغولاً فيه عما خلق لأجله من تربية الأمة فقد كان يعاقب الزورين وشهداء الزور حتى طهر كثيراً من البلاد من شرهم بمد ان استنحل وطني سياله وكان يجتهد في الإصلاح بين أهل البيوت وذوي القربى ويبلغ في حفظ حقوق التامى، وكان يطارد الفحش والفجور حتى كادت ازة زبق تلهر من رجس لبعيا أيام كان قاضياً فيها كما طهرت من الزور، ذلك أنه كان يحكم بأشد العقوبة التي يسمح له القانون بها على كل بقى تبرجت في الشوارع وعلى أعين الناس حتى كاد يجمهن من ذوات الحجاب وقد نقل الينا عن بعض التساق هناك انه قال مرة لبقى برفقها: كيف الحال؟ قالت: زى الزفت واذا بقى القاضي أبو عمه (ذوالعمامة) هنا فانه يقطع رزقنا من هذه البلد، عايز يرجع الدنيا لزمان سيدنا النبي: أوقالت مامعناه ان النبي ظهر بأية وأما براعته في تحقيق القضايا وفراسته في تمييز البريء من ذي الرية فحدث عنهما ولا حرج وقد كان مؤيداً بالوجدان الصحيح

الجديد

و

والإلهام الصادق فان كان كغيره من البشر عرضة للخطأ في رأيه فقد كاد لا يخطيء في وجدانه أو إلهامه. وسمته يقول في بحث الكسب والاختيار اني كثيرا ما أنظر في قضية فاستخرج من التحقيق الطويل وجوها كثيرة للحكم بالادانة مثلا حتى اذا مامت المحاكمة وأردت النطق بالحكم تقوض كل ذلك البناء الذي كنت بنيت من وجوه الادانة وظهر لي بثقة ان التهم بريء حتما فأحكم بالبراءة فسيحان مقلب القلوب.

حجته في الأزهر

كان أول حديث دار بيني وبين الاستاذ الامام (قدس الله روحه) في مصر الحديث في إصلاح الأزهر. زرته في اليوم الثاني من وصولي إلى القاهرة بداره (في أواخر رجب سنة ١٣١٥) وهدمت التحية والسلام وما يتصل بذلك من كلام كاشفته باعتقادي واعتقاد من أعرف من العقلاء فيه وانه بقية رجاء المسلمين في السعي للإصلاح وأنه بانني انه يعمل لذلك في الأزهر فأفاض في كلام خلصته بعد مفادرة المجلس في عشر مسائل. قال (١) إن إصلاح الأزهر أعظم خدمة للإسلام فان إصلاحه إصلاح لجميع المسلمين وفساده فساد لهم و(٢) ان امامه عقبات وصعوبات من غفلة المشايخ ورسوخ العادات القديمة عندهم. و(٣) ان هذا الإصلاح لا يتم إلا في زمن طويل وانه اذا رأى حال الأزهر قد صلحت قبل موته فإنه يموت قري العين ويرى نفسه سعيدا بل يرى نفسه ملكا. و(٤) انه لا يرى لدخوله في الحكومة فائدة الا الاستمانة على إصلاح الأزهر فإنه لولا مكاتبة عند الخديو والحكومة لما كان يسمع له في الأزهر كلام ولا يقبل له رأي. و(٥) انه لم يحصل شيء من الإصلاح يذكر حتى الآن و(٦) انه أراد أن يبدأ بأعمال عظيمة في الإصلاح اختتاماً

للهمة من شبكة الألوكة
www.alukah.net
للهمة فاشير عليه بوجوب التدريج ولكن لا بد له من المسابرة وإن كان
يخشى أن تضيق الفرصة بما يسوونه التدريج

هذه ست مسائل في موضوع الازهر أطال القول فيها وانتقل منها
الى المسائل الاخرى وأهمها تحفظه أذكيا المسلمين الذين يريدون خدمة
الاسلام من طريق السياسة والى يأس من يعرفه من كبراء المسلمين من
نهوضهم وتحفظهم في ذلك . وقال لي في حديث آخر ان نفسي توجهت
لاصلاح الازهر منذ كنت مجاورا فيه بعد التاتي عن السيد جمال الدين وقد
شرعت في ذلك فحبل بيني وبينه ثم كنت أرتقب الفرص فما سنحت الا
واستشرفت اليها وأقبلت عليها حتى اذا ما صدفت الموانع لويت وصبرت
مترقبا فرصة أخرى . وبعد ان عدت من التي حاولت اقناع الشيخ محمد
الانباي بشيء فلم يصادف قبولا . قلت له مرة هل لك أيها الاستاذ ان
تأمر بتدريس مقدمة ابن خلدون في الازهر ووصفت له من فوائدها
ما شاء الله ان أصف فقال ان المادة لم تجر بذلك . فانتلت به في شجون
الحديث الى ذكر الشيوخ وسأنته منذ كم مات الاشوني والصبان ؟ قال
منذ كذا قلت انها حديثا عهد بوفاة وهذه كتبها تقرأ بعد ان لم تجر المادة
بذلك . فسكت ولم يدخل في الحديث

وقال لي مرة أخرى ان بقاء الازهر متداعيا على حاله في هذا العصر محال
فهو إما ان يمرو وإما ان يتم خرابه وانني أبذل جهدي المستطيع في عمراته فان
دفنتي الصوادف الى اليأس من اصلاحه فانتني لأياس من الاصلاح
الاسلامي بل أترك الحكومة وأختار افراداً من المستعدين فأريهم على
طريقة التصوف التي ربيت عليها ليكونوا خلفاء لي في خدمة الاسلام ثم

أؤلف كتابا في بيان حقيقة الأزهر أمثل فيه أخلاق أهله وعقولهم ومبلغ علومهم وتأثيرهم في الوجود وأشره باللغة العربية ووافه أفرنجية حتى يعرف المسلمون وغيرهم حقيقة هذا المكان التي يجلبها الناس حتى من أمته

لما جاس عباس باشا حلمي على كرسي الخديوية مجددة للبلاد المصرية آمال، وتوجهت الى أعمال، كان الفرض منها إزالة الاحتلال، ولو كان هذا الفرض مما ترجى اصابته بسهام المصريين، لكان التقيد يكون في طليعة الامامين، لأنه كما تعلم أنفذهم رأيا، وأقواهم عزما، وأخلصهم قلبا، ولكنه كان يعتقد بمد ذلك السعي الذي أشرنا اليه أن المسألة لا يمكن أن تحمل الا باتفاق الدول المضام وأن الرجاء في اتفاقهم بعيد كما تين، فأراد أن يكون حظه من حب الأمير الجديد للعدل السعي في اصلاح الأزهر بنفسه واقناع الأمير بالسعي في اصلاح المحاكم الشرعية والاقواق لأن هذه المصالح الثلاث - الامية محضة لا مقاومة في اصلاحها القوة المحنلة ولا منها فاقص بالامير وحظي عنده وكاشفه برأيه كما كاشف الحكومة بأمله في الأزهر وجاء بما جاء من آيات الاقناع به حتى توصل الى إنشاء قانون تمهيدي للإصلاح يديره مجلس مؤلف من أكابر علماء المذاهب في الأزهر ينتخبون انتخابا وقد جعل هو وصديقه الشيخ عبد الكريم سليمان من أعضائه على انهما من قبل الحكومة لا رأي لشيخ الأزهر ولا للمجلس في انتخابهما ولا في استبدالهما وكان الشيخ محمد لانا بي الذي هو شيخ الأزهر لذلك المهدي صريضا وقد كثرت شكوى الشيوخ من إدارته فمينا الشيخ حسونة وكيلاله بعد أن أخذ عليه المهدي باقامة النظام والاتفاق مع التقيد على اصلاح عين الشيخ حسونة وكيل الشيخة الأزهر ما فؤنا بإدارة شؤونه لسبع

خلون من جمادى الثانية سنة ١٣١٢ وصدور الأمر المالي بتشكيل مجلس إدارة الأزهر لست خلون من رجب من تلك السنة أي في الشهر الثاني ثم كان سعي في إقناع الشيخ الانبائي بالاستقالة يكاد يكون أمراً حتمياً فاستقال وصدور الأمر المالي بتولية الشيخ حسونة شيخنا للأزهر في ٢ المحرم سنة ١٣١٣

كان الأستاذ الامام ، روح الله وروحه في دار السلام ، يجب أن يجري الإصلاح في الأزهر بإقناع كبار مشايخه ورضى أهله فبدأ باستمالتهم بتكثير روايتهم فسمى لدى المستشار المالي الاسبق وطلب تعيين مبلغ من خزينة المالية لمساعدة الأزهر الذي يخرج للحكومة كذا رجالات من القضاة الشرعيين والفتين والمأذونين فأجيب الطلب وعين في ميزانية سنة ١٨٩٥ م مبلغ ألفاً جنيه للأزهر على أن تصرف بنظام معلوم لا يرى شيخ الأزهر وميله على ما كان يهد في الأزهر مع الوعد بالزيادة على هذا المبلغ في فرصة أخرى اذا جاء بفائدة فكان هذا حجة لتقييد على وجوب وضع قانون للمرتبات في الأزهر ليكون لكل عالم حق معلوم يتناوله في وقته من غير تزلف إلى شيخ الجامع أو غيره ، وتلاه هذا القانون قانون كساوي التشریف ومرتباتها وكان الرأي فيها من قبل لشيخ الجامع يعطي من يشاء ويمنع من يشاء فصارت تعطى لمستحقها من غير سمي ولا تزلف فسر الشيوخ بذلك سرورا عظيما

بعد هذا وجه انتقيد عنايته في المجلس الى نظام التدريس والامتحان وبيان وسائل العلوم ومقاصدها وجعل التدريس فيها على طريق توصل الى الغاية منها وبعد اجتماع ومذاكرات طويلة وضع القانون لذلك واحتجج في تنفيذه الى المال فلجأ التقييد الى اريحية الأمير فصدر الأمر لديوان

الوقوف بصرف ٣٣٧٧ جنيتها للأزهر بنت مصارفها ومنها ٤٦٤ جنيتها
لإنشاء دار الكتب الأزهرية ، ثم وضع نظام آخر لتوزيع الجرايات بالعدل
أما نظام التدريس واختيار كتب العلوم فهو الذي أحب الاستاذ
الامام رحمه الله تعالى ان يجعله برأي كبار الشيوخ ليسهل تنفيذه بالرغبة ،
ولا يثقل عليهم إزادهم به من جانب القوة ، وليتمود أهل هذا المكان على
البحث في الأمور المهمة ، والتعاون على ما ينفع الأمة ، فوضع مشروع
نظام التدريس واختيار الكتب واقترح ان تؤلف لجنة من كبار الشيوخ
للبحث فيها واقرار ما يرونه نافعا فألفت اللجنة من أكثر من ثلاثين عالما
وجعل الشيخ سليم البشري أحد أعضاء مجلس الإدارة رئيسا لها ، ثم
انتخب منها لجنة للبحث في كل فرع من المشروع وابدأ وأياها فيه للجنة
الكبرى وكانت هذه اللجنة ، مؤلفة من بضعة تمرهم أكبر شيوخ الأزهر
وضم اليهم الاستاذ الامام من قبل مجلس الإدارة وبعد ان تمت هذه
اللجنة عملها قدمته إلى اللجنة الكبرى فأقرته هذه بعد تحوير قليل لا يذكر .
وكانت مشيخة الأزهر قد أسندت يومئذ الى الشيخ سليم البشري الذي
أوقف كل ما كان المجلس شرع فيه فأوقف أيضا مشروع اصلاح التدريس
بل كان المجلس يقرر الشيء ، بالاتفاق مع رئيسه الشيخ سليم ثم انه لا ينفذه ولم
يكن القصد من ذلك الا إحباط سعي الاستاذ الامام وابقاء القديم على
حاله ولقد كان قادرا على الازام بالتنفيذ بطالبه رسميا من الحكومة ولكنه لم
يكن يجب أن يكون للحكومة تصرف في الأزهر بل ان يبقى مستقلا بصاح
أهله برضى واقتناع وعل بقي كذلك بعده ؟ الله أعلم والايام تظهر ما يعمل
وكان من الاصلاح الذي تم في الأزهر بسميه رحمه الله تعيين طبيب للأزهر

وصيدلية (أجزاخانه) خاصة به في نفس الجامع واناارة المسجد بالناز البخاري
وانشاء الميضة على الاصول الصحية وتجديده مبان صحية في الاروقة وغير ذلك
مما تفصله في التاريخ. ومن شاء ان يطالع على ذلك بالتفصيل التام، فليرجع الى
كتاب (أعمال مجلس ادارة الازهر) الذي طبع في هذا العام (١)
وقد انتقل الازهر بهذا الاصلاح من خلل عام الى شيء من النظام، ومن
حالك الذي يجور، الى بصيص من النور، ولم يتم عمل من الاعمال على ما كان يجب
رحمه الله تعالى، ولكن الاصلاح الحقيقي الذي كان روحا محيا وخورا مبصرا
فهو ما كان يلقيه من دروس التوحيد والتفسير والبلاغة والمنطق فهذه الدروس
هي التي حولت قلوبا كثيرة عن السبيل المتفرقة الى سبيل الله وصراطه وهي
عمل الرجاء في هذا المكان،
(للأسيرة بقية)

مرثية محمد حافظ اقدى ابراهيم في الاستاذ الامام رضي الله عنه

سلام على الاسلام بدم محمد	سلام على ابامه النضرات
على الدين والدينا على العلم والحجى	على البر والتقوى على الحسنات
لقد كنت اخشى عادي الموت قبله	فأصبحت أخشى ان تطول حياتي
فوالهني والقبر بيني وبينه	على نظرة من تلکم النظرات
وقفت عليه حاسر الرأس خاشعا	كأنني حيال القبر في عرفات
لقد جهلوا قدر الامام فانزلوا	تجاليده في موحش بفلاة (٢)
ولو أضر حوا بالمسجدين لانزلوا	بخير بقاع الارض خير رفات

(١) هو تاريخ بين ما كان عليه الازهر قبل الاصلاح وما صار اليه بعده

صورة ومعنى وصفحاته ١٢٤ وثمن النسخة منه ٤ قروش واجرة البريد قرش واحد

ويطلب من ادارة المنار ومن بعض المكاتب بمصر (٢) تجاليد الانسان جنسه

تباركت هذا الدين دين محمد
تباركت هذا عالم الشرق قد قضي
أترك في الدنيا بغير حمة
ولانت قناة الدين للتمزات

زرعت لنا زرعاً فأخرج شطأه
فواهاً له ألا يصيب موقفاً
مددنا إلى (الأعلام) بمدك راحنا
وجالت بنا تبني سواك عيوننا
وآذوك في ذات الاله وأنكروا
رأيت الأذى في جانب الله لذة
لقد كنت فيهم كوكبا في غياهب
ابنت لنا التبريل حكما وحكمة
ووفقت بين الدين والعلم والحجى
وقفت لها توتر وريان وقفة
وخفت مقام الله في كل موقف
وكم لك في إعفاءة الفجر بقظة
ووليت شطر البيت وجهك خاليا
وكم ليلة عاندت في جوفها الكرى
وارصدت للباغي على دين أحمد
إذا مس حد الطرس فاض جبينه
كأن قرار الكهرواء بشقه

وبنت ولما نجت الثمرات
بشارفه والأرض غير موات
فردت الى اعطافنا صفرات
فصدن وآثرن العمى شرفات
مكانك حتى سودوا الصفحات
ورحت ولم تهتم له بشكاة
ومعرفة في أتمس نكرات
وفرقت بين النور والظلمات
فاطلعت نورا من ثلاث جهات
امدك فيها الروح بالنفحات
فخافك أهل الدك والنزغات
نفضت عليها لذة الرجعات
تناجى اله البيت في انطلاوات
ونبت فيها صادق العزمات
شباة يراع ساحر الثمات
باسطار نور باهر الاممات
يريك سناه أيسر الاممات

فياسنة مرتت بأعواد نمشه
 حطمت لنا سيفاً وعطلت منبراً
 واطفأت نبراساً واشملت انقسا
 رأى في لياليك المنجم ما رأى
 ونبأه علم النجوم بمحادث
 رمى السرطان الليث والليث خادر
 فأودى به ختلا فمال الى الثرى
 وشاعت تمازي الشهب باللمح بينها
 متى نمشه يخال عجباً بر به
 تكاد الدموع الجارية تقله
 بجى الشرق فارتجت له الارض رجة
 ففي الهند محزون وفي الصين جازع
 وفي الشام مفجوع وفي الفرس نادب
 بكى عالم الاسلام عالم عصره
 ملاذ عيايل شمال أرامل
 فلا تنصبوا للناس تمثال عبده
 فاني لاخشي ان يضلوا فيومثوا
 فياويح للشورى اذا جد جدها
 وياويح للفتيا اذا قيل من لها
 بكينا على فرد وان بكاءنا
 نهدها فضل الامام وحاطها
 لانت علينا أشام السنوات
 واذويت روضانا ضر الزهرات
 على جهرات الحزن منظويات
 فأندرنا بالويل والمثرات
 تبيت له الابراج مضطربات
 ورب ضعيف نافذ الرميات
 ومالت له الاجرام منحرفات
 عن النير الهاوي الى القلوات
 ويخطر بين اللبس والقبالات
 وتدفعه الاتقاس مستقرات
 وضافت عيون الكون بالعبرات
 وفي مصر باك دأثم الحسرات
 وفي تونس ماشئت من زفرات
 سراج الدياجي هادم الشبهات
 نيات ذوي عدم إمام هداة
 وان كان ذكرى حكمة وثبات
 الى نور هذا الوجه بالسجادات
 وطاشت بها الآراء مشنجات
 وياويح للخيرات والصدقات
 على أنفس لله منقطعات
 باحسانه والذهر غير موات

فيا منزلا في عين شمس أظني وأرغم حسادي وغم عدائي
 دعائه التقوى وآسامه الهدى وفيه الأيدي موضع اللبانت
 عليك سلام الله مالك موحشا هبوس المفاني مقتر العرصات
 لقد كنت مقصود الجوانب أهلا تطوف بك الآمال مبتهلات
 مثابة أرزاق ومهبط حكمة ومطلع أنوار وكثر عظات

﴿ المنار الاسلامي واللواء الوطني ﴾

بين المنار الاسلامي وجريدة اللواء الوطنية تضاد فيما يسمونه المبدأ فالمنار يدعو الى الاصلاح الاسلامي ويثبت ان المسلمين لا يرتقون الا ببرك البدع ورجوعهم في الدين الى ما كان عليه السلف وبأخذهم بوسائل القوة والمدنية العصرية في أمر الدنيا ويدخن في الاول ان كل مسلم أخ لكل مسلم وفي الثاني ان أهل كل قطر من الاقطار ينبغي لهم التعاون على عمرانهم لا يفرق بينهم في ذلك دين ولا مذهب وجريدة اللواء لارأي لها في الدين والاصلاح بسقطها ولكن لها وطنية عمياء من معناها انه يجب على كل مصري ان يتعصب على كل من يقيم في مصر من غير أهلها الاقدمين وان كان مسلما وعلى كل مصري مسلم ان يتعصب على كل مصري ليس بمسلم وهذا مما ينقضه المنار ولذلك ترى جريدة اللواء تقترح في المنار وقلما نطالع على شيء من طينها وقد صارت في هذه السنة تستدالطن الى بعض الاقطار إما اختلافا وإما لأن مثل أحمد توفيق كتب اليها بذلك (هذا الرجل من باعة لكتب كالمدين بطوفون بالازبكية وسافر الى كلبكته فصار امام مسجد بها) فتسمي ذلك صوت اللواء في الهند!! وقد جيئها ما يقدم مطاعها فلا تنشره كما ترى في الرسالة الآتية التي كتب اليها من سنغافورة صورتها وكلفنا نشرها ان لم تنشر في اللواء وهي

عن سنغافورة في ٢٧ جماد أول سنة ١٣٢٣ الى مصر القاهرة .

حضرة الناظر سعادتلو أقدم صاحب اللواء دام علاه

بمد السلام قد اطلمت على ما كتبه في جريدتكم القراء في العدد الـ ١٧٥١ - حضرة

الفاضل الهندي المولوي عبد المجيد المراد آبادي أحمد معلمي العلم الشريف بكلمتنا

فأسفرت كثيرا لانني لم أكن طالمت شيئا من أفكار علماء الهند قبل في هذا الموضوع

وظنت حينئذ أنهم في وجود ووجود لا كما كنت أظن وأسمع حتى رأيت ما كتبتموه من كلام حضرة الفضال النواب محسن الملك كثر الله أمثاله وحفظه فسري عني ذلك الأسف وحل محل الرجاه وقد أعجبتني كثيرا كثيرا مما كتبتم على كتابه الأخير فجزى الله أحسن الجزاء كل داع إلى الهدى نابذاً لتصبب الأعمى

اللهم الا انه وقع عندي موقع الاستغراب جهل المولوي اشارة النار بالهند وخصوصاً في كتابته اذ حضر لدي وقت قراءته تلك الرسالة أهدأ أهل كتابته ممن يقرأ النار منذ سنين من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويسرفون الرجال بالحق لا بالمكنس وقد أفادني ان للنار هناك سمعة حسنة وإكثير من الجرائد والمجلات العربية والمصرية

أما حصر المولوي ما وجد في النار في نبذ المذاهب الأربعة فشيء اختص هو به فليمد النظر ان لم يعمه تعصبه ليهلم ان النار يدعو الى نبذ حقوقهم (اذا زنى الرجل بأمة أوبتته بعد ان يمقد علم اصارت له فراشاً ولا حد عليهما) وامثال ذلك وصاحب النار ومن على شاكلته هم المتبعون للأئمة عليهم الرضوان لأن الأئمة لم يكونوا مقلدين جامدين بل أفوا اعمارهم في اقتباس العلم من الكتاب والسنة

وتظايره بالحوارج مما دلنا على كمال علمه وعلمه بالدين والتاريخ فلا تطيل الكلام مع من كان اعمى او يتعمى لكننا تصح لنودي الشأن في المدارس بأن لا يتقوا بمن هذا علمه وعذله وغالب الظن ان ذلك الكاتب لا عالم ولا متملم بل متمصب متخبط اراد التضليل فنسب نفسه الى العام والتدريس والافليكيب لنا الصابرة المنتقدة بنصها ثم ليرد عليها بالدليل لا بقال وقيل . وانى له ولا مثاله ذلك فيقال له (ايس بمشك فادرجي) ولسنا ممن يعتقد المصمة للنار ولكننا نمام ان المنهصين لا ينكرون الامرالحق . واما تربصه للدواثر ان ينفي تحريف المبطلين واتجال الغالين عن هذا الذين فقول له واشيعته تربصوا فانامكم متربصون والعاقة للمتقين ولاعدوان الاعلى الظالمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين افندم
شيخ بن احمد الهادي

﴿ مشروع بناء مسجد في باريس ﴾

خطر هذا المشروع للخواجه (ليور لامبير) المقاول في مصر من عدة شهور وكانف به بهض وجواء مصر فلم منهم انه لا يرجي نجاحه الا اذا كان تحت رئاسة فقيده الاسلام والشرق الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فأرسل أحد أولاده (فنيكي لامبير) كتاب منه الى الامام عند ما ذهب الى رمل الاكندرية مريضاً فنضاه من مقابله لان صحته لا تسبح



له بالكلام ولا الفكر في الاعمال فماد الى مصر وأرسل الي بعد ذلك كتاباً في ٢١ يوليو
 يرجوني فيه رجاء مؤكداً أن أعرض المشروع على الامام في الوقت المناسب وأرسل معه قائمة
 كتب في أعلاها (أسما) المتحددين على مشروع بناء جامع في مدينة باريس تحت رعاية
 فلان الخ) ورجب الي أن أكلف الامام باهضاء القائمة ثم أعرضها على بعض وجهاء
 الاسكندرية ثم أرسلها الي لكي يديره امضاؤها من وجهاء مصره وانني لم أر فرصة
 مناسبة لمذاكرة فقيدنا في هذا المشروع لاعرف رأيه فيه وبعد ان توفاه الله تعالى بانني
 ان الرجل وغب الي شيخ الأزهر ان يجعل المشروع تحت رياسته فقبل ففسي ان ينجح
 المشروع ويبقى المدجد في مكان يسهل على المسلمين في باريس التصدي اليه والصلاة فيه ولا
 يكون كجامع لوندن (لوندن) الذي حدثنا عنه الأستاذ الامام رضي الله عنه بما يأتي قال

خطر لرجل يهودي مستخدماً في الهندان يجمع من المسلمين مالا يبني به مسجداً
 في لوندن فجمع خمسين الف جنيه ثم جاء لوندن في مسجداً في خارجها على مسافة
 ساعة في السكة الحديدية وهو مكان لا يصل اليه احد من المسلمين في لوندن فهو مطلق
 انما لا يصل اليه احد وقد اشترى الرجل ارضا لنفسه عند الجامع وبني فيها بيتاً انزهته
 اذا علم بأن بعض امراء المسلمين او اغنيائهم زار لوندن يبحث عنه ويدعوه الي داره
 الى رؤية المسجد ولما زار امير الاقنان لهذا المهدي لوندن - وكان يومئذ ولي العهد
 الامارة - اجاب دعوة هذا اليهودي وبمد الطعام اعطاه خمس مئة جنيه ولا يجانن احد
 ن الامير كان مبسوط الدف لكل احد يتصل به او يخدمه فقد كان خالداً اقلدي استاذ
 لثة الترية في مدرسة كبرج (مهمنداراً) للامير في لوندن لزم خدمته واعده كل وسائل
 راحة وهو يخدمه عليه الاجنيه واحداً يقبله

ه العبرة في هذا المقام ان المسلمين قد فتوا بهؤلاء الاجانب قوتاً فالتواجه
 بجهول منهم يحظى عند كبيرهم وصغيرهم ويسهل عليه أن يبالغ منهم ما لا يباقة او صدمهم
 اما واهدمهم فهما واشدهم خيرة واطهرهم سريرة فلوان مسلماً حاول جمع المال من
 هند او مصر لبناء مسجد في لندن او باريس امجز ولكن الاجنبي لا يعجز عن استخدام
 نوز كل كبير فيهم حتى رجال الدين وما احوجنا الي رجال يسرون غور الاجانب
 يستفيدون من خيارهم ما ينفخ الامة ويتوقون شر شرارهم ويدفون عنها كما كان
 فعل الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وجزاه عن هذه الامة افضل الجزاء